



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

قسم اللغة والأدب العربي

معهد الآداب واللغات

المرجع:

نسق المديح النبوي في شعر البحري

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إشراف الأستاذة:

د. بوجرة سميرة

إعداد الطالبتين:

* عيطور رقية

* بحري إيمان

السنة الجامعية: 2022-2023

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شكر و عرفان

الحمد لله أولا وآخرا على نعمه التي لا تحصى " وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها" الذي وفقنا سبحانه، الى انجاز هذا العمل واخراجه بهذه الصورة التي نأمل أن تحظى بالرضى والقبول
والحمد لله الذي سخر لنا من فضله وسعة أنعامه

الأستاذة الفاضلة المحترمة: **بوجرة سميرة**

إذ نشكر وقفتها معانا في مشوارنا الذي توج بهذه المذكرة والذي أفادتنا بتوجيهاتها وارشاداتها القيمة والسديدة، أدامها الله فخرا لطلبة العلم وطلاب المعرفة.

ولا يفوتنا ان نتوجه بجزيل الشكر لجميع اساتذتنا الأفاضل بالمركز الجامعي ميلة دون استثناء وخاصة أساتذة اللغة والأدب العربي

إهداء

الحمد لله والشكر له الذي وفقني في اتمام هذه المذكرة التي اهديها الى
الذين قال فيهم المولى عز وجل وبالوالدين احسانا.

زوجي وسندي في هذه الحياة، وقرة عيني ولدي

الى كل من هم في ذاكرتي ولم تسع مذكرتي لذكرهم. اهدي لكم هذا
العمل الذي هو ثمرة جهدي ومشواري الجامعي. وفي الاخير لكم مني
فائق الحب والتقدير والعرفان، والله الموفق والمستعان.



مقدمة

إنَّ الدَّارسَ للنَّسقِ في العملِ الأدبيِّ يدركُ جيِّداً العلاقةَ التي تربطه ببنية النصِّ، إذُ أنَّه لا قيمةَ لمفهومِ النَّسقِ إنَّ لم يثبتْ موقعه في شبكةِ العلاقاتِ التي تنظِّمُ العناصرَ والتي بها تنهضُ البنيةُ، وقد رأينا أنَّ شعرَ البحتريِّ هو الأنسبُ لما له من خصائصَ جعلته يتميِّزُ عن غيره من شعراءِ زمانه، وقمنا باستخراجِ أنساقِ المدحِ في الديوانِ حيثُ كان حبَّ سيِّدِ الخلقِ هو الركيْزةُ الأساسِيَّةُ التي دفعت بنا للقيامِ بهذا العملِ الأكاديميِّ.

تطرقنا أثناء دراستنا لهذا الموضوعِ إلى فنِ المديحِ النبويِّ، الذي احتلَّ مساحةً واسعةً في الأدبِ العربيِّ على امتدادِ العصورِ القديمة والحديثة، لكونه يشكلُ جزءاً مهماً في الحضارةِ العربيَّةِ الإسلاميَّةِ التي أسهمت في بناءِ الثقافةِ الإنسانيَّةِ.

كما قمنا بمعالجةِ موضوعِ المدائحِ النبويَّةِ، نظراً لقوَّةِ تأثيره وحضوره في الشعرِ العربيِّ على مدارِ عدةِ قرونٍ، حيثُ تولدت فيه أشكالاً عديدةً منها قصيدةُ الشوقِ والحنينِ إلى البقاعِ المقدسةِ أو المولديَّاتِ أو البديعيَّاتِ، حيثُ نالت كلها جزءاً يسيراً من الشرحِ والدراسةِ في بحثنا هذا.

واستند البحثُ إلى الإشكاليَّةِ التالِيَّةِ:

- كيف يتمظهر نسق المديح النبوي في شعر البحتري؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية تساؤلات عدة منها:

- ما هي أنساق المدح المهيمنة على شعر البحتري؟

- هل كان مديح الرسول ﷺ نسقاً ظاهراً في شعر البحتري؟ أم أن أنها أنساق خفيَّة وجب الكشف عنها؟

- ما هي أبرز أنساق المديح النبوي في شعر البحتري؟



الهدف من بحثنا هذا هو الكشف عن أنساق المديح النبوي في شعر البحتري، علما أن غرض المديح النبوي لم يكن غرضا شعريا عند الشعراء العباسيين منهم البحتري، ومن هنا تكمن خصوصية بحثنا وهي التنقيب عن أنساق المديح النبوي في ثنايا شعر المدح عند البحتري.

من المتعارف عليه أن طبيعة الموضوع هي التي تحدد نوعية المنهج الذي يليق به وعليه تمت الاستعانة بآليات المناهج الآتية:

المنهج التاريخي، الذي اعتمدنا عليه في تتبع نشأة المديح النبوي وتطوره عبر العصور، وكذا المنهج النقدي الذي يعتمد على الوصف والتحليل، وقد توصلنا به في قراءة القصائد وتحليلها واستنباط النسق المضمرة وخصائصه وسمياته في الديوان بجزئيه الأول والثاني.

توزع البحث من خلال تمفصلات إشكاليته إلى مدخل، فصلين، وخاتمة.

المدخل: خصصناه للمفاهيم الاصطلاحية وهي: النسق، المديح، ثم نشأة المديح النبوي.

أما الفصل الأول فكان بعنوان "أنساق المدح في ديوان البحتري" والذي اشتمل على نسق نسب ممدوح البحتري، ثم نسق تكرار اسم محمد، بعدها نسق الشجاعة يليه نسق الجود والكرم وأخير وليس آخر نسق الضياء والنور.

ليأتي الفصل الثاني بعنوان "نسق مديح الرسول ﷺ"، وفيه تطرقنا إلى نسق نسب الرسول ﷺ وآل بيته، بعدها نسق آثار الرسول ﷺ يليه نسق الأخلاق الحميدة، ثم نسق النور والضياء. وخاتمة والتي هي عبارة عن حوصلة شاملة لأهم نتائج البحث المتوصل إليها.

مقدمة

أهم المصادر والمراجع الموظفة في البحث: اعتمدنا على عدد من المصادر والمراجع والتي لها صلة وطيدة بموضوع الدراسة ومنهجها ويمكن إدراجها في مجموعتين:

أولاً: ديوان البحري بجزئيه الأول شرح وتقديم، يحي شامي والجزء الثاني شرح وتقديم حنّ الفاخوري.

ثانياً: المراجع نذكر منها كتاب "المدائح النبوية" لمحمود علي مكي، كذلك كتاب "الآثار النبوية" لأحمد تيمور باشا و"زاد الميعاد في هدي خير العباد"، لابن القيم الجوزية، وكتاب "تاريخ الأمم والملوك"، لأبي جعفر الطبري، وكتاب "الرحيق المختوم" لصفي الرحمان المباركفوري.

يذكر الباحث في هذا المقام الصعوبات التي واجهته أثناء إنجاز بحثه إذ لا ينفك أي باحث من مواجهة صعوبات أذكر هذه الصعوبات باختصار وأبرزها صعوبة الكشف عن نسق المديح النبوي في شعر البحري لأن الشاعر ليس لديه قصائد في المديح النبوي إنما هي إشارات عابرة في قصائد المدح.

إضافةً إلى صعوبة الحصول على المراجع المرتبطة بالجانب التطبيقي وكذلك عدم وجود دراسات سابقة تناولت هذا الموضوع، وعدم توفر ديوان البحري في المكتبات.

وأخيراً لا يسعنا إلا أن نتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لأستاذتنا سميرة بوجرة التي لم تبخل علينا بنصائحها وتوجيهاتها متمنين لها كل التوفيق والنجاح والصحة والعافية، كما نتوجه بالشكر إلى أعضاء اللجنة المناقشة التي ستقيمه وتستدرك هفواته، ونرجو أن يكون هذا البحث المتواضع قيماً ومفيداً، وأن يكون ثمرة من ثمار المعرفة، وحسبه أنه موجه توجيهاً خالصاً لرسول الله عليه أفضل الصلوات والتسليم.





مدخ _____ ل:

أولاً: ماهية النسق وأنواعه ومرجعياته

1- تعريف النسق

2- أنواع النسق

3- مرجعيات النسق

ثانياً: المديح النبوي، المفهوم والنشأة

1- تعريف المديح

2- نشأة المديح النبوي

1- تعريف النسق:

أ - لغة:

مصطلح النسق مصطلح رائج ومهم في حقل الدراسات الأدبية والنقدية والثقافية وقد جاء تعريف للنسق في "معجم لسان العرب" كالتالي:

"النسق من كل شيء: ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء وقد نسقته تنسيقاً ويحقق ابن سيده: نيق الشيء ينسقه نسقا ونسقه نظمه على السواء، والنسق هو تناسق والاسم النسق وقد انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت. والنحويون ينسقون حروف العطف حروف النسق لأن الشيء إذا عطف عليه شيئا بعده جرى مجرى واحد. وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال: ناسقوا بين الحج والعمرة. قال سمر: ناسقوا وتابعوا وواتروا. يقال: ناسق بين الأمرين أي تابع بينهما"¹.

ورد كذلك في "معجم الوسيط" "(أنسق) فلان تكلم سجعاً (ناسق) تابع بينهما ولائم. (نسقه). نظمه (انتسقت) الأشياء: انتظم بعضها إلى بعض. يقال: نسقها فانتسقت"².

وجاء في معجم قياس اللغة أن "نسق النون والسين والقاف أصل صحيح يدل على تتبع في الشيء"³.

ونستنتج من هذه التعريفات: أن النسق هو ما كان على نظام واحد، وجرى مجرى واحد، وعطف الكلام بعضه على بعض أدى إلى تسميتها حروف النسق، وهو أيضا تتابع الأشياء

¹ - ابن منظور الإفرقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، لبنان 1990م، ص352.

² - إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، تركيا، ص918.

³ - ابن فارس معجم مقياس اللغة، ج5، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان 1979م، ص4.

مدخل ماهية النسق وأنواع ومرجعياته

ومجموع ما يحصله معنى النسق ممن معاني في اللغة العربية هو أنه نظام الأشياء وتتابعها وتلاؤمها وتتاليها في نظام واحد.

ب- اصطلاحاً:

النسق في الدراسات النقدية فهو: " النظام التقني الذي يميز البنيات المتشاركة في النص، وهو متعدد و متنوع وقد يتكرر، وهو عالمي ودلّ على مستويات البنية، وهو تقليدي ونمطي وشكلي مبتكر في الوقت نفسه بينما تركز البنية على الدلالة رغم تقنياتها الشكلية وهناك بين النسق والبنية علاقة جدلية لا فكاك منها: فالبنية هي التي تكشف النسق كما أن النسق هو الذي يكون البنية.¹ النسق حسب هذا التعريف عبارة عن نظام تقني وهو في علاقة جدلية مع البنية، والنسق نمطي شكلي متكرر ومتعدد في الوقت ذاته.

يعرف "نعمان بوقرة" النسق على أنه: " هو ما يتولد عن تدرج الجزئيات في سياق ما، أو ما يتولد عن حركة العلاقة بين العناصر المكونة للبنية، إلا أن لهذه الحركة نظاماً معيناً يمكن ملاحظته وكشفه. كأن نقول: "هذه الرواية نسقها الذي يولده توالي الأفعال فيها، أو أن هذه العناصر المكونة لهذه اللوحة من خيوط وألوان تتألف وفق نسق خاص بها".²

استنتجاً مما سبق فالنسق عند "نعمان بوقرة" مرتبط بالكيفية التي تتوالى فيها الأفعال.

¹ - عز الدين مناصرة، علم التناص والتلاص، دار مجدلاوي، ط3، عمان 2006م، ص3.

² - نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، جدار للكتاب العالمي،

ط1، عمان 2009م، ص 141، 140.

مدخل ماهية النسق وأنواع ومرجعياته

أشار عبد الله الغدّامي: إلى أن النسق مرادف للبنىّة أو النظام لكنه لم يقصد تلك الدلالة ولا يعترض عليها فالنسق يكتسب عنده "قيما دلالية وسمات اصطلاحية خاصة"¹. وفق ما يتناسب مع مشروعه النقدي النسق إذن يتكون من مجموعة من العناصر والأجزاء المترابطة ببعضها البعض مع وجود مميزات بين عنصر وآخر وللنسق خصائص نذكر منها:

1. كل شيء مكون من عناصر مشتركة ومختلفة فهو نسق.

2. له بنية داخلية ظاهرة.

3. حدود مستقرّة بعض الاستقرار يتعرف عليه الباحثون.

4. قبوله من المجتمع لأنّه يؤدي وظيفة فيه لا يؤديها نسق آخر².

نستنج من كل التعريفات السابقة أن: النسق عنصر له نظامه وقانونه الذي يتحكم فيه، وهو نمطي متعدد، له مرتبته ودرجته ضمن نسق عام، كما أنّه متعدد الخصائص. وعناصره المترابطة والمتكاملة والمتفاعلة تحقق وظيفة ضرورية جامعة.

2- أنواع النسق:

النسق ذو طابع تعددي ويندرج تحته أنواع متعددة ومتنوعة بتنوع الثقافات والخطابات لذلك عكف النقاد الباحثون على تقصي دلالتها ومميزاتها ووظائفها فانتهت آرائهم إلى بلورة نظرية تهتم بتلك الأنساق وتطورها تمثلت هذه الأنساق في:

¹ - عبد الله الغدّامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية، المركز الثقافي الغربي، دار البيضاء، ط3، المملكة المغربية 2005م، ص77.

² - محمد فتاح، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي الغربي، المملكة المغربية، الدار البيضاء، ص159.

2-1- النسق الثقافي:

المصطلح مركب من شقين، النسق والثقافة، وقد أسلفنا القول في النسق، أما الثقافة فهي:

أ. لغة: جاء في "معجم العين". قال أعربي: إني لتقف لقف رام رام شاعر. وثقفت فلانا في مواضع كذا أي أخذناه ثقفاً وتثقيف في من قيس وخل تثيف قد تثف ثقافة (...). والثقافة: حديدة شوي بها الرماح ونحوها والعدد أتقفه، وجمعه تثف والتقف مصدر الثقافة وفعله تثف إذا لزم، وثقفت الشيء وهو سرعة تعلمه، وقلب تثف أي سريع التعلم والتفهم¹، ونخلص من هذا التعريف إلى أن الجذر اللغوي تثف وما تعانق معه واشتق منه من ألفاظ تنطوي في المعاجم العربية.

اصطلاحاً: إن مصطلح الثقافة من بين المفاهيم الأكثر تعقيداً، لذلك اختلف العلماء حول هذا المفهوم، من بين هذه المفاهيم: "الثقافة، بمعناها الواسع والمتداول، هي ما يكتسب المرء من معارف متنوعة شاملة للعديد من الميادين ما يحرز عليه من ذوق وحس نقدي وحكم سليم".²

نستج من هذا التعريف أن الحس النقدي للمرء يتولد من ثقافته المكتسبة والمتمثلة في جملة من المعارف المتنوعة والشاملة في شتى الميادين.

من خلال التعريفات السابقة للثقافة والنسق خلصنا إلى أنّهما يكونان مفهوم النسق الثقافي بأنّه تلك العناصر المترابطة والمتفاعلة والمكملة والفنون والأخلاق والعادات والعرف التي يكتسبها الفرد في مجتمع معين، ويتناقل كذلك عبر الأجيال عن طريق المحاكاة والممارسة

¹ - الخليل أحمد الفراهيدي معجم العين، ج1، ترتيب وتحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار المكتبة العلمية، ط1، بيروت 2003م، ص204.

² - جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس 2004م، ص123.

مدخل ماهية النسق وأنواع ومرجعياته

بشكل شعوري مثل اللغة تنتقل من جيل لآخر عن طريق التعلم منذ طفولة الإنسان، وكذلك الغرائز والحياة الطبيعية يمارسها الإنسان وفق النسق الثقافي كعملية الأكل مثلا.

2-2- النسق الإجتماعي :

يعد عالم الاجتماع الأمريكي: "تالكوت بارسونز" أول من تطرق إلى تعريف النسق الاجتماعي يقول: "نظام ينطوي على أفراد فاعلين" تحدد علاقتهم بمواقفهم وأدوارهم التي تتبع من الرموز المشتركة والمقررة ثقافيا.¹ وعليه النسق الاجتماعي عنصر له نظام وانتظام ووظيفة تعمل ضمن وظيفة جامعة لكل عناصر البيئة.

2-3- النسق الفلسفي:

هو نسق من الأنساق الفكرية التي تتباين من خلالها المجتمعات وثقافتها ذلك لأن لكل ثقافة ومجتمع نسق فكري وفلسفي خاص به، وأيضا الأنساق الفلسفية عبارة عن بنى فكرية مركبة من وحدات معرفية مترابطة متسقة ومنسجمة منطقيا هدفها التوغل في الوجود لكشف أسراره وخباياه.

2-4- النسق الإيديولوجي:

عرفنا سابقا النسق أنه منظومة من العناصر وبنية مترابطة خاصيتها الانسجام، بينما الإيديولوجيا متذبذب لثبت حواله آراء كثيرة من طرف النقاد والفلاسفة وعلماء الاجتماع، فالإيديولوجيا مفهوم مراوغ متعدد المعاني، لكن متداول في جل الدراسات بصفة عامة علم الأفكار لما لهذه الأخيرة من تأثير في حياة المجتمعات.

¹ - أديث كريزويل، عصر النبوية، تر جابر عصفور، دار سعاد الصباح، ط1، الكويت 1993م، ص 411.

3-مرجعيات النسق

إنَّ الأنساق الثقافية وغيرها عرف اجتماعي يتموقع في النصوص والخطابات فعلى المؤلف والجمهور أن يقبله، كما أنَّ العرف يشكل في حد ذاته نظاماً وهذا ما ذهب إليه عبد الفتاح كيليطو في قوله " مواضيعه (اجتماعية ، ودينية وأخلاقية- استثنائية...) تقرضها وفي لحظة معينة من تطورها الوضعية الاجتماعية، التي يقبلها ضمناً المؤلف وجمهوره"¹. فمرجعيات الأنساق متعددة ومتغيرة ومختلفة من مجتمع إلى آخر تتبثق من المواضيع الدينية والاجتماعية والأخلاقية: من بين هذه المرجعيات

3-1-العرف:

يشترك فيه جميع الناس على اختلاف أزماتهم وبيئاتهم وثقافتهم ومستوياتهم تعارف عليها أفراد مجتمع ما، فهو عبارة عن قواعد ومفاهيم ومعايير ومقاييس اجتماعية متفق عليها ومقبولة لدى العامة وغالبا ما يكون على هيئة عادة غير مكتوبة اعتاد عليها الناس²، فهو إذن اجتماعي يتقيد به أفراد مجتمع ما، فنظام هذا العرف يشكل نسقا مهيمنا.

¹ - عبد الفتاح كيليطو، المقامات (السردي والأنساق الثقافية)، تر عبد الكبير الشراوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،

ط2، المغرب 2001م، ص8.

² -المرجع نفسه، ص25.

3-2- الدين:

عبارة عن مجموعة من المعتقدات تكوّن نظاما متصلا وتتعلق بعالم مابعد الطبيعة في غالب الأحيان، وتؤمن بها جماعة ما، فتمارس شعائر وطقوس مقدسة أو تعتقد وتؤمن بوجود قوة روحية عليا أحادية أو متعددة، ويقال دين طبيعي (...). ويقصد به وجود الله وخلود الروح (...). ودين وضعي يقوم على وحي الضمير والعقل¹. حسب المعتقدات تعددت الأديان

منها ما هو طبيعي من وحي الله ومنها ما هو وضعي أي تعرضت للتحريف.

3-3 وسائل الإعلام:

تعد من أكثر المؤسسات الخطابية الطاغية على المجتمعات، وهي كذلك الكيان الأقوى على وجه الأرض، كما أنها سلطة تتحكم في عقول الجماهير فعند "بورديار": (...). تدفع الجماهير إلى التجنيس والتهميش² خاصة ثقافة الصورة التي هيا جزء منها "إن الصورة أصبحت المهيمن الأكبر على بقية وسائل الإعلام وهي الثقافة المحببة عند الجمهور"³، فعندما كان النص وحده المسيطر والمهيمن دخلت الصورة تجعل من الملتي مشاهد، كذلك الهيمنة الفكرية بكل أنواعها، وعليه الصورة وسيلة لتميرير الأنساق الثقافية وتبسيط المعرفة في خطاب سريع ميسر الاستهلاك.

وغالبا ما يستعمل في حقل النقد الثقافي في تغيير الأنساق الثقافية للدلالة على أنها (قوانين/تشريعات) أرضية من صنع الإنسان في مقابل التعاليم السماوية التي أنزلها الله

1 - أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت 1982م، 353.

2 - سمير خليل، النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، دار الجواهري، ط1، بغداد 2012م، ص122.

3 - المرجع نفسه، ص199.

مدخل ماهية النسق وأنواع ومرجعياته

تعالى في الأديان، وضعها الإنسان لضبط ولتصريف أموره في الحياة وهي تعبر عن تصوير الإنسان القديم ما ينبغي أن تكون عليه الحياة ولأنساق الثقافية قابلة للتطور وشأنها شأن كل عناصر الحياة".¹

تتصف الأنساق الثقافية بطابع الحركية والتحول داخل حياة المجتمعات، كما أنه لكل مجتمع أنساقه الخاصة، وهو ما يجعلها تُسهم في بناء الحياة الاجتماعية، فهي تأخذ بعد انتشارها ووظيفة القوانين والتشريعات التي تنظم هذه الحياة وتتحكم في سلوكيات الأفراد، والأنساق الثقافية أيضا: "عبارة عن نُظم بعضها ظاهر في أي ثقافة من الثقافات وتتفاعل في هذه النظم العلاقات المجازية عن التذكير والتأنيث، الثقافيين والعرق والدين والأعراف الاجتماعية والقيود السياسيّة والتقاليد الأدبية والطبقة وعلاقات السلطة التي تحدد المواقع الفاعلة للذوات"².

يبحث أيضا النقد الثقافي عن الأنساق الثقافية المتوازنة خلف البناء اللغوي الجمالين بمعنى أنه يتعامل بالدرجة الأولى مع المضمرات النسقيّة.

¹ - عبد الله الغدّامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، بيروت 2005، ص21.

² - ضياء الكعبي السرد العربي القديم، الأنساق الثقافية واشكاليات التأويل، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، ط1، بيروت دت، ص63.

ثانيا: المديح النبوي، المفهوم والنشأة:

1-تعريف المديح:

يعد الشعر الديني واحدا من أنواع الشعر العربي الذي تعددت أغراضه، من الزهد إلى التصوف إلى المديح النبوي، والحديث عن هذا الأخير ممتع باعتباره منوطا بأشرف خلق الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أ. **المدح لغة:** ورد في لسان العرب أنّ "المدائح مصدر مشتق من مادة مدح بفتح الحروف الثلاثة، فيقال: مدحه مدحا، ومدحه بمعنى أحسن الثناء عليه، والجمع مدائح"¹ وعرفه الزمخشري أنّه: "وصف الممدوح بأخلاق حميدة وصفة رفيعة يتصف بها، ويمدح عليها وهذا يصح من الخالق جلّ شأنه"².

فالمدح هو التغني بالخصال الحميدة، والإشادة بمناقب الممدوح.

ب. **اصطلاحا:** يعرف المديح النبوي على أنه لون شعري صادر عن العواطف النابعة من القلوب المفعمة بلحب الصادق لسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم.

يعرفه جميل حمداوي " أنّه ذلك الشعر الذي ينصبّ على مدح النبي محمد ﷺ بتعداد صفاته الخلقية والخلقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول ﷺ، مع ذكر معجزاته الماديّة والمعنويّة، ونظم سيرته شعرا، والإشادة بغزواته وصفاته المثلى والصلاة عليه تقديرا وتعظيما"³.

¹ - ابن منظور أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب، مادة مدح، دار صادر، بيروت1956م، ص590.

² -أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح، عبد الرحيم محمود، مادة مدح، دار الفكر، دمشق، سوريا1989م، ص585.

³ - جميل الحمداوي، شعر المديح النبوي في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت 2007م، ص10.

يبرز الشاعر المادح في هذا النوع من الشعر تقصيره في أداء واجباته الدينية، ويذكر ذنوبه مناجيا الله بالصدق والخوف، مستعظفا إياه طالبا منه التوبة والمغفرة، وينتقل بعد ذلك إلى الرسول ﷺ متوسلا إليه، طمعا في شفاعته عند الله يوم القيامة.

عرفه زكي مبارك بقوله: "هو فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص"¹، فهذا المديح لا يشبه غيره لأنه يوجه إلى أفضل خلق الله □ فيطبعه الصدق والمحبة والوفاء والإخلاص، وأن قائله لهم غايات دينية وأدبية ينبغي أن تُدرس ويرفع عنها غبار الزمن.

نستخلص من هذه المفاهيم أن المديح النبوي فن من الفنون الأدبية له قالب شعري نابع من قلوب مشبعة بالإيمان، ويُنظم اتجاه رسول الله ﷺ فيُثني على كل ما يتعلق به سواء كان ماديا أو معنويا دون أن ينسى الثناء على أخلاقه الحسنة، وغزواته المباركة.

والملاحظ أن قصيدة المديح النبوي قد بُنت على غرار مدائح الجاهليين حيث أنها استمدت عناصرها الفنية من المدحة الجاهلية من حيث الشكل والمضمون إلا أنها أُضيفت إليها أحيانا خيوط جديدة، ونُسجت في ثوابها لتضفي عليها الجدة والتجديد، وحينما بُعث النبي الكريم اتجهت إليه كل أنظار العرب وتوجه الشعراء إلى مدحه"، ومن هنا نشأ المديح النبوي وافترق عن غيره من ألوان المدح الأخرى، لأنه مرتبط بذات النبي الذي يختلف عن غيره من البشر"²، فالمديح النبوي ظهر مع ظهور شخصية الرسول ﷺ.

¹ - زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت 1935م، ص17.
² - محمود سالم محمد، المدائح النبوية، ص48. نقلًا عن: فاطمة عمران المدائح النبوية في الشعر العربي الأندلسي، مؤسسة المختار، ط1، القاهرة 2011م، ص101.

2- نشأة المديح النبوي وتطوره:

عرف الشعر قبل الإسلام أغراضا شعرية كثيرة ومتنوعة، وكان المدح واحدا منها، فكثيرا ما استوقفنا مدائح زهير بن أبي سلمى الذي قال فيه النقاد أنه لم يكن ليمدح الرجل إلا بما فيه، ومن أقدم ما مدح به الرسول ﷺ قصيدة الأعشى.

أَلَمْ تَغْتَمُضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةً وَبِتَّ كَمَا بَاتَ السَّالِمُ مُسَهَّدًا
وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا تَنَاسَيْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ خُلَّةَ مُهَدَّدًا
نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا تَرُونَ وَذِكْر أَعَارَ لِعَمْرِي فِي بِلَادٍ وَأَنْجَدًا
لَهُ صَدَقَاتٌ مَاتَعِب وَوَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعُهُ غَدًا

يستهل الشاعر قصيدته بسؤال استكاري حيث يعبر عن أرقه الشديد ومعاناته، فيصور كثرة تقلب أحواله وغدر الزمان له، ثم يمدح النبي ﷺ ويشيد بفضائله ومحاسنه.

إضافةً إلى قصيدة "بانة سعاد" لكعب بن زهير التي هي من أشهر القصائد التي قيلت في مدح الرسول ﷺ نظمها كعب لما كتب إليه أخوه بجير نبي الله أهدر دمه ودم رجال هجوه وأذوه فنصحته بأن ينطلق إلى نبي الله، فإنه لا يقتل من جاءه تائباً... فغدا به إلى رسول الله حين صلى الصبح، فصلى معه، ثم أشار له إلى رسول الله، فقام حتى جلس إليه، ووضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه، فقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، فقال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير، ثم أنشده القصيدة التي أولها¹:

بانة سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفدّ مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغنّ غضيض الطرف مكحول

¹ - زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، ص 21.

يستهل الشاعر قصيدته بمقدمة غزلية ثم ينتقل إلى جملة من الاعتذار والاستعطاف وهو مدرك جيداً عظمة الخطأ الذي أقبل على فعله، ثم يسترسل قائلاً¹:

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ قرآن فيها مواعيطٌ وتفصيل

يقرُّ الشاعر هنا بأحقية الرسول في نبوته وبمعجزته وهي القرآن الكريم، معترفاً أنّ هذا القرآن من عند الله، ويُقر بوجوده،... إلى آخر القصيدة.

أ. عصر صدر الإسلام:

تميّز هذا العصر بالتغيير والتحول والتجديد في أنماط السلوك الإنساني عند العرب، وذلك أنّ أبناء هذا الجيل قد تحولوا عقائدياً من وثنية أغرقهم ظلامها إلى ما أنقذهم به الدين الجديد.

يقول محمود سالم محمد" وحين يمزج الشاعر بين القيم التقليدية في مدح الرسول ﷺ والقيم الدينية فإنه يوازي بينهما ويخضعها جميعاً لغرض المديح، ويرقى بها إلى مقام الممدوح السامي، فلم تعد القيم التقليدية التي اصطلح الناس على المدح بها تحمل الدلالات نفسها حين يُمدح بها شخص آخر غير رسول الله ﷺ، لكن بعض الشعراء لم يستشعروا هذا الأمر، وكأنهم يؤذون ما يجب إتجاه سيّد البشر"²

كان مديح النبي ﷺ في حياته حباً وإعجاباً بشمائله ونصرة لرسالته، وظلت دوافع المديح هذه عند الشعراء بعد وفاة الرسول ﷺ، "فبعضهم لم يعرفوا شخصية الرسول ﷺ بل

¹ - ديوان كعب بن زهير، تح علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1967م، ص 65.

² - محمود سالم محمد، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، لبنان 1417هـ، ص 126.

مدخل ماهية النسق وأنواع ومرجعياته

سمعوا ببعض صفاته العظيمة، فتوجهوا إليه بالمدح على طريقتهم الجاهلية التي تعودوا عليها في مخاطبة ساداتهم بها، دون أن يتطرقوا إلى المفاهيم الدينية والقيم الإسلامية".

كان هناك بعض آخر من الشعراء لمدحهم طابع ديني إسلامي ومدحوا النبي ﷺ متأثرين بالإسلام ومفاهيمه، ومن هؤلاء الشعراء حسان بن ثابت، عبد الله بن رواحة، النابغة الجعدي... وأصبحت قصائدهم أنموذجاً يُتبع في نظم المديح النبوي¹

هذا؛ وقد أضاف الشعراء على شخصية الرسول ﷺ معانٍ خاصة لم تتوفر لسابقه، فلم تبقى الشجاعة والاستبسال في القتال من أجل التباهي والتفاخر والسلب والنهب، وإنما أصبحت من أجل رفع كلمة الله والاستشهاد في سبيله ولم يبقى الكرم للتفاخر وإظهار المقدرة، وإنما أضحت لمساعدة الإخوة في الدين، والتعبير عن التضامن الاجتماعي، وكان شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت يرد هجمات المشركين، ويدافع عن الإسلام والرسول ﷺ، وقد أثنى النبي على شعره وقربه منه، وكان يقول له: "أهجم أو هاجهم وجبريل معك"²

ومن بين أشهر القصائد الجميلة التي مدح فيها الرسول ﷺ ومطلعها³:

أَغْرُ عَلَيْهِ لِلنَّبِوةِ خَاتَمُ مِنْ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
وَشَقَّ لَه مِنْ اسْمِهِ لِيُجْلَهُ فذو العرش محمودٌ وهذا محمدُ

الشاعر في هذه الأبيات يصف الرسول ﷺ بالشجاع الذي كان خاتمة الأنبياء وآخرهم، بشهادة من الله عز وجل، فقد منحه وسام أن يكون اسمه مقترناً باسمه تعالى، حتى يقدره الناس ويجلوه، فكلاهما محمود مشكور من الناس.

1 - فاطمة عمراني، المدائح النبوية في الشعر الأندلسي، المجمع العالمي لأهل البيت، ط1، 1428هـ، ص110.

2 - الإمام أبي حسين مسلم، صحيح مسلم، دار صادر، بيروت، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، 6416، ص937.

3 - ديوان حسان بن ثابت، تح وليم عرفات، دار صادر، ط3، بيروت 2012م، ص29.

ب. العصر الأموي:

عادت الخلافات والصراعات حول الحكم في هذا العصر، ومن أهم المدائح النبوية آنذاك هاشميات الكميت بن زيد الأسدي حيث أعطى للمديح النبوي دفعة كبيرة في عصر توقف أو كاد هذا اللون من الشعر أن يتوقف، واستطاع أن يتسع في معاني المديح التي انتصر فيها لحق الهاشميين في الخلافة، فمدحهم وذكر فضائلهم وأحقيتهم في الخلافة فقال:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا منّي وذو الشوق يلعبُ
ولم تلهني دار ولا رسمُ منزل ولم يطرني بنان مخضب
ولا السانحات البارحات عشيةً أمر سليمُ القرن أم مرّ أعضب

يبوح الشاعر في هذه الأبيات بتخليه عن كل ملذات الحياة، وميله إلى حب الرسول وآل بيته، حيث لا نجد في هذا العصر قصائد خاصة بالمديح النبوي وإنما نلمسه أثناء قصائد التشيع، أو قصائد الفخرو المقارنة، ولولا وجود الكميت بن زيد الأسدي لما بقي من شعر المديح النبوي إلا ظلال قليلة.¹

وبعد وفاة الرسول ﷺ وانقضاء عهد الصحابة لم يعد هناك شعر من المديح النبوي بالمعنى الصحيح، وكلّ ما هناك عبارة عن بكائيات أوجدتها الظروف السياسية والتحويلات التي عرفها العالم الإسلامي "وظهرت الشيعة بأمداحها لأهل البيت ومدائح أهل السنة التي لا تقل عن سابقاتها أسفاً ومكابدة، ثم ما روجه بعد ذلك الصوفيّة على السنة المريرين والأتباع من أشعار امتزج فيها العشق الصوفي بالحب الإلهي والمديح النبوي"²

ومن الواضح أنّ بني أمية لم يعترضوا للمديح النبوي في حد ذاته لأنهم يتفخرون بانتسابهم إلى الرسول ﷺ مهما ابتعد النسب، وإنما كان اعتراضهم لشاعر الشيعة الذي كان غرضه

1 - محمد سالم محمد، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، ص 80.

2 - سراج الدين محمد، المديح في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، ص 25.

مدخل ماهية النسق وأنواع ومرجعياته

الأول والأخير من مدحه هو الدفاع عن أحقية بنو هاشم في الخلافة، وهو ما كان يقف دونه الأمويون.

ج-العصر العباسي:

نرى في هذا العصر أنّ المديح النبوي بدأ من ذكر النبي ﷺ في مدح الخلفاء، وإيجاد علاقة تربطهم به، إلى فخر العلويين بانتسابهم إليه وهذا ما رأيناه في شعر البحتري خاصة وشعراء آخرون عامة، عندما كان يثني على ممدوحه الخليفة المتوكل بأنه ابن عم النبي ﷺ قائلاً في إحدى قصائده¹:

فضّل الله جعفرًا بخلال
يا ابن عم النبي حقًا ويا أوز
جعلت حُبّه على الناس فرضاً
كى قُريش نفساً وديناً وعرضاً
ت سماءً وأصبح النَّاس أرضاً
بنت بالفضل والعلو فأصبح

ظهر القليل من ذكر النبي ﷺ الأمين في الشعر الذي يتحدث عن العقيدة، والحج، وأشعار المتصوفة التي نشأت في هذا العصر، ومع تقدّم الزمن ظهرت مقطوعات خاصة وخالصة في مدح الرسول ﷺ ووجدنا قصائد كاملة حوله كانت في بدايتها معارضة لقصائد قيلت في حياة الرسول ﷺ، وقد شهد العصر العباسي مراحل مختلفة لتطور المديح النبوي، وظهر فيه الكثير من مفردات المدائح النبوية ولوازمها ونطالع حدود المدائح النبوية لهذا العصر في النقاط التالية²:

➤ **مدائح آل البيت عليهم الصلاة والسلام:** فبعد تسلّم الحكم من جانب العباسيين، انتشبت الخلافات بين فئتين يدّعي كل منهما الانتساب إلى رسول الله والأحقية بالخلافة أي بين

¹ - أبو عبادة البحتري، ديوان البحتري، مجلد2، شرح وتقديم حنا الفاخوري، دار الجيل، ط2، بيروت، ص492.

² - محمود سالم محمد، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، دار الفكر، ط1، دمشق1417هـ، ص129.

العباسيين والعلويين ولما كانت الخلافة في جوهرها خلافة الرسول ﷺ في تولي أمور المسلمين، كان من الطبيعي أن يذكر الرسول ﷺ في كل حديث عن الخلافة، فقد ادعى العباسيون أنهم أحق الناس بوراثة الرسول ومن جانب آخر ادعى العلويين أن النبي ﷺ ورث ابنته فاطمة فهي التي ترثه ويرثها بعدها أولادها أمّا الشعراء وظلّ مدحهم للرسول ﷺ ضمن قصائد اشتملت مدح آل البيت عليهم السلام، ومن بين هؤلاء الشعراء دعبل الخزاعي، الشريف الرضا، مهيار الديلمي.

➤ **المدائح الصوفية:** على الرغم من أن حُب الشعر الإلهي عندهم قد ظلّ له المكانة العليا عند شعرائهم، فإنّ المديح النبوي أخذ يتولد شيئاً فشيئاً حتى نال مكانة سامية في القرن السابع هجري، ومن أهم شعرائهم قاضي عياض، وأبومدين شعيب وابن الحبيب.

➤ **انتشار العلوم وتخصصها في السيرة النبوية وعلوم الحديث:** لقد أدى ذلك إلى تعظيم صورة النبي ﷺ من خلال حياته ودعوته وغزواته، نرى في العصر المملوكي والعثماني أنّ المدائح النبوية ظهرت متكاملة وصار فناً أدبياً مستقلاً بذاته لكن قبل هذا العصر كانت قليلة ولم تشكل ظاهرة أدبية¹.

د- العصر المملوكي:

صار المديح النبوي في العصر المملوكي فناً أدبياً مستقلاً بذاته "أولى شعراء المملوكي مقام النبوة عناية كبيرة في كتاباتهم الشعرية، وغير الشعرية، فغنوا للرسول العربي، وأشادوا بمعجزاته، وأمارته، وعظم خلقه، وسماحة دينه، وسنته وسيرته"² وصبح السلاطين والأمراء، يرون تقريب العلماء والشعراء مظهراً من مظاهر الشرف والنبيل،

1 - فاطمة عمران، المدائح النبوية في الشعر الأندلسي، ص 115.

2 - ياسين الأيوبي آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، دار جروس برس، ط1، طرابلس، لبنان 1995م، ص 117.

اشتهر صلاح الصفدي كأحد أهم مؤلفي الموشحات، ويعكس شعر المملوكي كافة جوانب المجتمع السياسية والثقافية والاقتصادية وغيرها.

3- أشكال المديح النبوي:

راح الشعراء يمدحون الرسول ﷺ ويتأسون به وبمواقفه طمعاً في نصرته، وشفاعته، وبذلك تلقى قبولاً واسعاً من لدن الجماهير الإسلامية خاصة بعدما شهدته الأمة من ويلات الحروب الصليبية.

3-1 المعارضات الشعرية:

هي كتابة الشاعر لقصيدته متشبهاً بقصيدة لشاعر آخر في الوزن والقافية، مع اختلاف المعنى غرضه من ذلك إظهار براعته الشعرية.

3-2 التشاير:

والمقصود به أن يعمد الشاعر إلى أبيات مشهورة لغيره، فيقسم أبياتها إلى شطرين يضيف إلى كل منهما شطراً من عنده، مُراعياً تناسب اللفظ والمعنى، ويشترط في التشاير ألا يكون في تركيبه كلفة ولا حشواً

3-3 التخاميس:

هو أن يأخذ الشاعر بيتاً لسواه، فيجعل صدره بعد ثلاثة أشطر ملائمة له في الوزن والقافية (أي يجعله عجز بيت ثانٍ)، ثم يأتي بعجز ذلك البيت بعد البيتين فيحصل على خمسة أشطر.

3-4 التساييع:

ومن ذلك قول الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الله المكي¹:

الله يعلم كم من قلب من ألم
على فراق فريض حل من حرم
على العقيق عقيق غير منسجم
ومن غرام بأحشائي ومن سقم
فقلت لها همي دمعي منسجمي
أمن تذكر جيران بذني سلام

4- أنواع المديح النبوي:

العبرة في التفريق بين هذه الفنون وبين المديح النبوي هو معرفة قصد الشاعر من إنشاء قصيدته، فإذا كان غرضه مدح آل البيت عليهم السلام أو ذكر مواجدة صوفية أو تشوقه للمقدسات، وذكر فيها النبي الكريم فإنه لا يعد من المدح النبوي، أما إذا كان غرضه مدح النبي وذكر في قصيدته آل البيت أو تشوقه للمقدسات أو بعض المواجد الصوفية، فهو مدح نبوي، ونأتي بذكر هذه الفنون والأنواع كالاتي:

4-1 قصيدة الشوق والحنين إلى البقاع المقدسة:

يتحدث الشاعر في هذا النوع من القصائد عن شوقه وتلهفه إلى زيارة قبر النبي ﷺ أو الأماكن التي شهدت يوماً ما إشراق الرسالة المحمدية وعاشت لحظات الدعوة في محنتها وانتصاراتها في شدتها ورخائها، كثيراً من ترديد أسماء الأماكن الحجازية ولاسيما - طيبة- التي تعني المدينة المنورة، ومواضع أخرى كمنى ويثرب وزمزم والبيت العتيق و نجد والحيف، والحطيم واللوى والغور، إلى ما هناك من أسماء موحية.

¹ - عبد الصمد العشّاب، البويصري شاعر المديح النبوي، المطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الاسلامي، الرباط، المغرب، ص31.

مدخل ماهية النسق وأنواع ومرجعياته

وقد أكثر الشعراء من وصف أشواقهم لزيارة قبر الرسول ﷺ كقول محمد ابن جابر الأندلسي¹:

إليك يا رسول الله جبننا الفلا وخدا ولولاك لم نهو العتيق ولا
ولا تاشتياقي أن أراك بمقلتي لما كنت أشتاق الغوير ولا
ولولا رجاء القلب من ذاك الحمى لما اخترت عن أهلي وعن وطني بعدا

تحمل القصيدة بعداً زمنياً فتثير حولها جواً روحانياً وعبقاً دينياً يزيدان من تأثيرها وقوتها، وتبنى أيضاً على وصف الرحلة عبر الفيافي والقفار، وما يصاحبها من متاعب ومشاق وعلى تصوير الأشواق والهيام في زيارة ضريح خير الأنام والتمرغ في ترابه الطاهر والتعبق بمسكه وشذاه، واستهلال الدموع طلباً للمغفرة والشفاعة، ثم تختتم بالسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا وحبينا محمد ﷺ².

ويعد فن التشوق والحنين إلى البقاع المقدسة له علاقة بالمديح النبوي لكنه لا يعد مدحا نبويا خالصا فيفترق عنه، وبذلك فقوائد التشوق هي لون من ألوان المديح النبوي.

2-4 المولديات:

هي المدائح التي تلقى ليلة المولد النبوي، وتحتوي على مدح الرسول ﷺ ومدح الأمير الذي ينتظم حفل المولد بأمره أو بحضوره.

عرّفها ابن الخطيب بقوله: "القصائد المنظومة في مدح الرسول ﷺ والإشارة بميلاده، وذكر معجزاته ﷺ ثم التلخص إلى مدح السلطان، وذكر خلاله"³.

1 - فاطمة عمراني، المدائح النبوية في الشعر الأندلسي، ص122.

2 - المرجع نفسه، ص120.

3 - محمود سالم محمد، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، ص190.

يبتدأ فيها الشاعر بمقدمة ثم ينتقل الى مدح الرسول ﷺ ومدح السلطان والتوسل أو المناجاة، وخاتمة، وقد يستفتح قصيدته بمدح الرسول مباشر، حيث انتشر الاحتفال بالمولد النبوي في الاقطار العربية الاسلامية بسرعة كبيرة أضحت من الاعياد الدينية، فيستمع فيها المسلمون إلى القرآن الكريم والمواعظ، والانشيد المتصوفة، وقيمون الولائم ويتصدقون ويظهرون السرور، وفيه تتبارى مواهب الشعراء في بث المشاعر الدينية وإظهار مكارم السيرة النبوية. فالمولديّات لم تكن كلها متشابهة فبعض الشعراء نظموا قصائد في مناسبة المولد النبوي لكنهم لا يذكرون فيها المولد ولا يمدحون فيها صاحب الامر. ويقتصرون في قصائدهم على المدح النبوي فقط، فتكون القصيدة مدحة نبوية خالصة، لكن اسم المولديّة أتاها من نظمها بمناسبة المولد النبوي الشريف، أو لأنّ صاحبها أنشدها في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف¹

3-4 البديعيات:

تعد البديعيات من ضمن المصطلحات التي تضاربت الآراء حولها يقول محمد زغلول سلام "سار كثير من شعراء العصر على أثر البردة، وعارضها جماعة من الشعراء، وتناول معانيها وأسلوبها جملة ممن اهتموا بالمديح من بعده، كالخيمي، وصفي الدين الحلبي، وابن حجة الحموي، ولكن صفي الدين الحلبي ومن تبعه انتهجوا نهجاً جديداً في مدائحهم إذ طرزوها بالبديع وأسموها بالبديعيات ضمنوا كل بيت فيها نوعاً من البديع، فجعلوها مديحاً وممتنا في علم البديع معاً"².

1 - فاطمة عمران، المدائح النبوية في الشعر الأندلسي، ص142.

2 - محمود زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، ج1، دار المعارف، مصر 1971م، ص323.

مدخل ماهية النسق وأنواع ومرجعياته

ومنه، فالبديعيات هي جملة من المدائح النبوية ذات الحس الوجداني وبين المنظومات التعليمية التي انعدمت فيها العاطفة ومن بين أشهر البديعيات، بديعية صفي الدين الحلبي، يقول فيها:¹

إن جئت سلعاً فسل عن جيرة العلم واقرأ السلام على عُرب بندي سلِم
فقد ضمنت وجود الدمع من لهم، لو أستطع مع ذاك منع دمي
عدمابيت والدمع هام هامل سرب فالجسم في إضم لحم على وضم

يمكننا القول أن هذه الفنون الشعرية قريبة من فن المديح النبوي، وتمييزة عنه ومتقاطعة معه، فهي تتداخل وتتمايز معه، ولقد أثرت فيه وتأثرت به..

¹ - علي أبو زيد، البديعيات في الأدب العربي، نشأتها، تطورها، أثرها، دار عالم الكتب، ط1، بيروت، لبنان 1983م، ص315.



الفصل الأول: أنساق المدح في ديوان البحتري

أولاً: نسق نسب الممدوح

ثانياً: نسق تكرار اسم محمد

ثالثاً: نسق الشجاعة

رابعاً: نسق الجود والكرم

خامساً: نسق النور والضياء

أولاً: نسق النسب الممدوح

يرجع اهتمام العرب بنسبهم إلى أزمنة قديمة، والسبب في ذلك يعود إلى طبيعة الحياة التي عاشتها القبائل العربية، فالانتقال من منطقة إلى أخرى كان الدافع الأول لتمسك كل قبيلة بنسبها، وجعل رابطة النسب عندهم أبوية (رابطة الدم الأبوي) ولم يهتم العرب قديماً بتدوين أنسابهم بل تناقلوها شفاهاً ومن المسلمات أنّ "جميع العرب يرجعون إلى ولد ثلاث رجال هم: عدنان، قحطان، وقضاعة"¹. وقد ظهر علم النسب متلازماً مع ظهور التدوين في العصر العباسي و الأموي، كما عرّفه ابن خلدون بقوله "هو العلم الذي يبحث في تناسل القبائل والبطون من الشعوب وتسلسل الأبناء من الآباء والجدود وتفرع الفصول من الأصول في الشجرة البشرية بحيث يعرف الخلق من أي سلف انحدر"².

يبحث النسب في صلة القرابة بين الأبناء والآباء والأجداد والقبائل والعشائر، وهذه الصلة وحب الانتماء إلى الآباء والعشيرة والميل إلى نصرتهم مهما كان موقفهم، هي فطرة جعلها الله تعالى فينا، لكنّ الإسلام هدّب هذا وقوم حدوده فكّره إلينا نصره الباطل. أمّا الافتخار بالنسب والتحدث بفضلهم دون تفاخر فقد نُقل عن الرسول ﷺ قوله في حُنين "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب"³، فنسب النبي ﷺ إلى عدنان متفق عليه. وقد اختار الله تعالى من النوع الإنساني ما جعله معدن نبوّته ومحل رسالته كما ورد في الحديث النبوي الشريف □ عن اصطفاء الله عزّ وجلّ لنبيه من خيار الأنساب.

امتدّ تناول الشعراء العرب لقضية التفاخر بالنسب عبر مختلف العصور، فالمتصفح لدواوين الشعر سيما المديح والفخر منها يجدها قليلة في العصر العباسي مقارنةً مع مواضيع

1 - ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط5، القاهرة، ص31.

2- الأمير شكيب أرسلان، تاريخ ابن خلدون، ج1، مؤسسة هنداوي، 2011م، ص23.

3 - ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص29.

أخرى، كونها برزت في شكل مقطوعات متناثرة، يمكن أن نرجع ذلك إلى انشغال أهل الشعر بحياة الترف واللهو وكذا اختفاء الأحزاب العصبية القبلية والتي أنستهم بطولات أجدادهم، على خلاف بعض الشعراء الذين ارتبطوا بالبادية ولم يتخلوا عنها ومثالنا في ذلك الشاعر البحري، هذا الأخير لم يتأثر بالتمازج والاختلاط بالعجم تأثراً كبيراً فقد تمسك بالثقافة العربية الخالصة، "على عكس أدباء عصره الذين تشربوا بالثقافة الأجنبية من أمثاله أستاذه أبي تمام والمعري وابن الرومي وغيرهم ممن عرفوا الفلسفة والمنطق"¹.

يتمظهر لنا ذلك في تمسكه بعمود الشعر وخصائصه، يقول السيد أحمد الهاشمي في هذا الشأن، "كان شعره بديع المعنى وحسن الدباجة وصقيل اللفظ، سلس الأسلوب موجوداً في كل غرض سوى الهجاء، لذلك اعتبره كثير من أهل الأدب هو الشاعر الحقيقي"² نخلص إلى أن البحري شاعر أعرابي التزم بالمواضيع الشعرية السائدة في عصره، وكان موضوع النسب من المواضيع الشائعة في شعره، وشعر الشعراء العباسيين.

إنّ تتبع نشأة علاقة الشاعر بالسلطة من خلال غرض المديح ليس هدفاً من أهداف البحث إلاّ أنّه لا ضير من إشارة مجملة إلى هذه القضية التي تناولها جمال الدين بن الشيخ في كتابه (الشعرية العربية) تحت عنوان (الشاعر في المدينة/ الجاذبية البغدادية)، حيث عرض أسباب توافد الشعراء على مدينة بغداد التي كانت مركز إشعاع علمي وثقافي كبيرين، فباننتقال المجتمع من القبيلة إلى الحاضرة وتغير الظروف الحياتية في المدينة، جعل الشاعر يفقد مكانته ووظيفته.

¹ - عقيل الطيب عبد الرحمان محمد، أثر الإسلام في شعر البحري، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية (الأدب والنقد)، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان 2006م، ص26.

² - جواهر الأدب، السيد أحمد الهاشمي، ج2، مؤسسة المعارف، بيروت دت، ص175.

فهو لم يعد لسان القبيلة وحاميها لذلك اتجه إلى البحث عن مكانته وتكوين شخصيته الثقافية ليحصل على مكانة في سلم الطبقات الاجتماعية، وهذا توفره أغراض محددة هي: المدح والهجاء والرثاء، ومن بين الأمثلة التي ساقها الباحث انتقال كل من أبي تمام والبحتري من سوريا وطوافهما بمختلف المدن واستقرارهما في بغداد لنيل العطاء والشهرة، فالطبقة الحاكمة تستغل الشاعر ذي الأصل المتواضع لخدمتها مقابل المال والمكانة، فالقائمين على الأدب في هذه المرحلة هم أنفسهم رجالات السلطة، هذا ما يؤدي بكثير من الشعراء التخلي عن قناعاتهم الشخصية أو إخفائها مقابل الامتيازات المقدمة¹.

وكون قصيدة المدح موغلة في القدم فقد عرفت شكلا ثابتا من حيث الصياغة والبناء وأصبحت لها تقاليد الفنية، وهي في وظيفتها امتحان للشاعر في إمكاناته على اختيار المفردات وتشكيل الصور، فالمديح ألا يخطئ الشاعر ولا يسرع ويطلق العبارات بغير نظر وهو ما وصفه أبو ديب بالأداء الطقسي للقصيدة، يقول: «وخلال تطورها، تتحول القصيدة العربية إلى أداء طقسي على مستوى آخر، هو مستوى الوظيفة التي تحققها في سياق معين (المديح، الرثاء، الهجاء)، والوظيفة التي تمثلها حركاتها (أو شرائحها) ضمن بنيتها الكلية. هكذا تصبح كل قصيدة مديح تعاملاً مع طقس قائم وصدوراً عنه، وممارسة له قد يتم فيها تقريع وتتويج جزئيان ...»².

إنّ الممدوح في التراث العربي القديم تحكمه قيم اجتماعية كالكرم والشجاعة والبطولة والسماحة وحماية الجار ومساعدة المحتاج...، وعلى الشاعر أن لا يخرج عن إطار هذه القيم فذلك قد يعرضه لغضب السلطة عليه، والوجه الآخر للسلطة يمثله جماعة اللغويين

1 - ينظر: جمال الدين ابن الشيخ، الشعرية العربية، دار توبقال، الدار البيضاء، ص 61-78.

2 - كمال أبو ديب، الحداثة، السلطة، النص، مجلة فصول (الحداثة في اللغة والأدب)، المجلد 01، العدد 04، الهيئة

المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1984 م، ص 112.

والنحويين التي يحيط بها الخليفة نفسه لكي يترصدوا أخطاء الشعراء» فهم ينصبون أنفسهم رقباء على الشعراء ويفرضون نظرية تستجيب في نهاية المطاف لذوق الجمهور.

هؤلاء العلماء المرموقون يقترحون دراسات تهتم باللغة والأغراض والتطريز ويوجهون صناعة المختارات... يقومون الشعراء الذين غالبا ما أسهموا في تكوينهم وليس ذلك بغريب فغرض المدح مقياس من مقاييس الفحولة الشعريّة، وهو سبب إبعاد كثير من الشعراء من طبقة المجددين مثلما هو حال ذي الرّمة والخلاصة أنّ صورة القصيدة العربية والتقاليد الفنية التي تمثلت فيها كانت إلى حد كبير ترجع إلى اعتبارات اجتماعية وقد اتخذت هذه الاعتبارات أساساً للنقد.

1. نسق نسب الممدوح:

غرض المدح هو الغرض الطاغي على قصائد ديوان البحترى، فقد عاش الشاعر حياته مادحا للخلفاء العباسيين، من المتوكل إلى المعتضد ووزرائهم وولاتهم، وقاداتهم، فكان الناطق الرسمي للدولة العباسية والمشيد بأعمال رجالها، يقول في إحدى قصائده¹:

قَالَ الْحُسَيْنُ لَنَا بِالْأَمْسِ مُفْتَحَرًا قَوْمِي قُضَاعَةٌ أَرْكَى يَعْرُبُ حَسَبًا
قُلْتُ لَمَّا أَتَى دَهْيَاءَ مُعْضِلَةً أَبْلِ وَأَجْدُدُ مَتَى أَحْدَثَتْ ذَا النَّسَبَا

ينقل لنا الشاعر في هذه الأبيات إفتخار الحسين بن القاسم القضاعي بيعرب، أحد أجداد العرب، وكذا إنتسابه لقبيلة قضاعة، وهي " قبيلة من حمير، من القحطانية، غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم قضاعة، وهم بنو قضاعة بن مالك، بن عمرو بن مرّة، بن زيد بن مالك بن

1 - أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن شمال بن جابر البحترى، ديوان البحترى، مجلد 1، شرح وتحقيق، د يحيى شامى، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، لبنان 2005م، ص42.

حمير، قال في العبر: وقد يحتج له بما رواه ابن لهيعة عن عقبة بن عامر الجهني، قال: قلت: يا رسول الله، ممن نحن؟ قال: من قضاة بن مالك، وفي ذلك يقول عمرو بن مرة الجهني القضاة الصحابي¹:

نَحْنُ بَنُو الشَّيْخِ الهِجَانَ الأزهرِ قُضَاعَةَ بَنِ مَالِكِ بنِ حَمِيرِ

كما أنشد البحترى قصيدة أخرى، نظمها في مدح نسب الخليفة يوسف بن محمد، أبي يعقوب، وهو بطل من أبطال قبيلة طيئ وقاداتها الكبار، يقول فيها²:

هَآ إِنِّ نَجْمُكُمْ عَلَى كَرِهِ العِدَى يَعْطَو، وَرِيحُكُمْ تَزِيدُ هُبُوبَا
يَكْفِيكُمْ حَسَبًا وَوَاسِطُ دَارِكُمْ نَسَبًا إِذَا وَصَلَ النَّسِيبُ نَسِيبَا
وَأَلَى البِلَادِ فَكَانَ عَدْلًا شَائِعًا يَنْفِي الظَّلَامَ، وَنَائِلًا وَهُوِيَا
وَعَدَّتْ نَوَافِلُهُ لَكُمْ مَبْدُولَةً وَشَدَاهُ عَنْكُمْ نَائِيًا مَحْجُوبَا

يتمظهر نسق النسب في قول الشاعر "يكفيك حسبا" وهو الإشارة إلى الحسب والرفعة بغرض إبراز النسب الرفيع لممدوحه، ويشيد بمحاسنه حتى يلجم هؤلاء الخارجين عن طاعة الخليفة، ذكر أبو العباس القلقشندي عن طيئ وبطونها في كتابه نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب، "أنها قبيلة من كهلان من القحطانية، وهم بنو أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، كان له من الولد قطرة، وغوث، وأمهما عدية بن الأمدي، ينسب إليه حاتم الطائي المشهور بالكرم"³، ويظهر من خلال النموذجين كيف يطغى نسب المدح عند

1 - أبي العباس أحمد القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت1980م، ص400.

2 - أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن شمال بن جابر البحترى، ديوان البحترى، مجلد1، شرح وتحقيق، د يحيى شامي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، لبنان2005م، ص49.

3 - أبو العباس القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب، ص325.

البحثري، فهو نسق جلي وواضح يتكرر في كل قصائده المدحية لكن بأساليب مختلفة، وفي أبيات أخرى له، يفتخر فيها بنسب حبيبه إلى قبيلة بني هاشم، يقول فيها¹:

وَلِي يَوْمَ شَيَّعَتِ الْجَنَازَةَ قِصَةً غَدَاةَ بَدَا الْبَدْرِ الَّذِي كَانَ يَحْجِبُ
إِذَا مَا رَأَيْتِ الْهَاشِمِيَّةَ أَقْبَلْتِ تَهَادُ حَوَالِيهَا مِنَ الْعَيْنِ رِزْبُ
أَشَارَتْ إِلَيْهَا بِالْبَنَانِ فَأَعْرَضَتْ تَبَسَّمُ طَوْرًا ثُمَّ تَزْوِي وَتَقْطُبُ
فَلَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَحْسَنَ مَنَظَرًا وَنَحْنُ وَفُوفٌ وَهِيَ تَدْنُو وَتَقْرُبُ

يصفها الشاعر بالهاشمية نسبة إلى بنو هاشم وهي قبيلة عربية عدنانية تعد إحدى بطون قبيلة قريش، وهم بنو هاشم، بن عبد مناف، له خمسة أولاد منهم على عمود النسب: عبد الطلب، وكان له اثنا عشر ولدا، عبد الله أبو النبي ﷺ، وأبو طالب والد سيدنا علي وغيرهم، وخارجا عن عود النسب: نضلة، وأسد، وصيفي، وأبو صيفي، وسُمي هاشمًا لهشمه التريد لقومه في شدة المحل، وذلك لأنه كان إليه الرفادة، والسفاية بمكة، وانتهت إليه سيادة قريش، فكان إذا أقدم الحجيج في موسم الحج جمع لهم من ماله ومال قريش ما يكفيهم، وفي ذلك تقول القبائل².

عَمَرُو الَّذِي هَشَمَ التَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرَجَالَ مَكَّةَ مُسْنِنُونَ عِجَافُ

يتمظهر نسق المدح بصور متعددة، ويتجلى هنا في كنية محبوبته بالهاشمية فهو بالنسبة لها بمثابة وسام الشرف، ويصفها بجمال العين وتمایل الخطى، والغرض من حديثه عن النسب هو الاعتناء بمعرفة وحفظ التاريخ، ومنع الاختلاط بالغير.

1 - أبو عبادة البحتري، ديوان البحتري، ص 58.

2 - أبو عبادة البحتري، ديوان البحتري، ص 435.

أما غاية البحترى هي الإشادة بكل سمّة تدعو إلى الفخر والرفعة في ممدوحه، لأنّ أصل البيوت والأنساب الشريفة، هو أن يبرع أحد الناس عن أقرانه، ويتميز عن أبناء زمانه، لتحصل له بها رئاسة وسؤدد، وبعد ذلك يخلف نسلًا يمتاز بالأخلاق التي إمتاز بها أبوه، طمعا في استبقاء هذه الغرائز التي أورثهم إيّاها سلفهم، لأنّ حفظ الأنساب هو عبارة عن حفظ الفضائل وامتناع المجتمع بها، ومتى كثرت الفضائل في المجتمع ترقّت الأمة وعرجت في سلم النجاح، غير أنّ كل شاعر وأديب يملك قناعات وقيم اقتنع بها ودافع عنها في عصره فتظهر في سلوكياته، مثلما تناول البحترى نسق النسب الشريف لممدوحه ودافع عنه.

ينتهي الشاعر على فطنة أمير المؤمنين صاعد بن مخلد وسداد رأيه في قصيدةٍ بائية

ويرجع ذلك إلى شرف نسبه بقوله¹ :

يُحْسِنُ رَأْيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا لَصَاعِدٍ، وَهُوَ مَوْصُولٌ بِهِ نَسَبُ
مَا كَانَ إِلَّا مَكْفَأَةً وَتَكْرِمَةً هَذَا الرِّضَا وَإِمْتِحَانًا ذَلِكَ الغَضَبُ
وَرَيْمًا كَانَ مَكْرُوهَ الْأُمُورِ إِلَى مُحْبُوبِهَا سَبَبًا مَا مِثْلُهُ سَبَبُ
هَذِي مَخَالِيلُ بَرَقَ خَلْفَهُ مَطَرٌ جَوْدٌ، وَوَرِيٌّ زَنَادٍ خَلْفَهُ لَهَبٌ

يتجلى نسق النسب في هذه الأبيات، من خلال نسبه للخليفة العباسي صاعد بن مخلد وكنيته بأمير المؤمنين، وهي كنية خلفاء الدولة الإسلامية يقول موصول به نسب بمعنى يعتز ويفتخر بذلك، هذا ولا ننسى نسبه لبنوا العباس "وهو بطن من بني عبد المطلب بن هاشم، من عدنانية وهم بنو العباس بن عبد المطلب، وفضل العباس رضي الله عنه أشهر من أن يذكر، وكان له من الولد تسعة أولاد: الفضل وبه يكنى، وعبد الله حبر هذه الأمة، وعبيد الله، وقثم، وعبد الرحمان، ومعبد، وتمام، وكثير والحارث، والستة الأولون أهم لبابة

¹ - أبو عبادة البحترى، ديوان البحترى، ص 67.

بنت الحارث، من بني هلال بن عامر ابن صعصعة¹، وحصرت الخلافة في بني العباس وكثرت الصراعات حول الحكم، حيث كانت إحدى الأسباب الرئيسيّة في سقوط الدولة العباسيّة.

يقول البحترى في قصيدةٍ أخرى²:

وشاهد عز الناس فيهم وغائبه بعقوتهم، والموت سود ذوائبه
يرافده في حفظه ويناويه كفيت أخاه الصدع يُوز شاعبه

يتجلى نسق النسب في هذه المقطوعة في مدح نسب الممدوح وربطه بنسب الرسول (أشرنا إلى نسب القبيلة سابقاً)، فقد أنشدّها في مدح الموفق بالله الأمير العباسي الذي قضى على ثورة الزنج التي اعتبرها العديد من المؤرخين المسلمين أمثال الطبري³، أنها واحدة من أكبر الانتفاضات التي ابتليت بها الدولة العباسيّة، وثناء البحترى على شجاعة وبسالة ممدوحه لأنّها من شيمة الهاشمين، ويظهر هنا كيف أنّ الشاعر يتحد مع السلطة في سياسة الدولة فمدح نسب العربي مقابل النسب غير العربي.

ويقول أيضا في قصيدة بائية⁴:

1 - أبي العباس أحمد القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت1980م، ص143-144.

2 - ديوان البحترى، مجلد1، ، ص89.

3 - شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المشهور بابن القيمّ الجوزية، زاد الميعاد في هدي خير العباد، ضبطه شُعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، لبنان2009م، ص2083.

4 - أبو عبادة البحترى، ديوان البحترى، ص120.

وَمَتَى تُغَالِبُ فِي الْمَكَارِمِ وَالنَّدَى
يُنْسِيكَ جُودَ الْغَيْثِ جُودَهُمْ إِذَا
قَوْمٌ إِذَا قِيلَ: النَّجَاءُ! فَمَا لَهُمْ
حَتَّى لَوْ أَنَّ الْجُودَ خَيْرٌ فِي الْوَرَى
بِالتَّغْلِبِينَ اللَّأَكْرَامِ تَغْلِبُ
عَثَرَتْ أَكْفُهُمْ بَعَامٍ مُجْدِبِ
غَيْرِ الْحَفَائِظِ وَالرَّدَى مِنْ مَهْرَبِ
نَسَبًا لِأَصْبَحَ يَنْتَمِي فِي تَغْلِبِ

نظم البحترى هذه القصيدة في مدح بن طوق التغلبي أمير الرحبة على شط الفرات، ويفتخر بانتسابه إلى القبائل العربية المشهورة بالكرم ثم يخاطبه مستعظفا، طالبا نواله، عندئذ يعطيه الممدوح ما يرغب ويُعَدِّق عليه بالهدايا، فنعم الممدوح ونعم القوم الذي ينتسب إليهم، وهم بنو تغلب بن وائل، قبيلة عربية من ربيعة من عدنان، إليها ينتمي كليب بن ربيعة، وشاعر المعلقة عمرو بن كلثوم قوم الجود والسخاء والبطولة والمروءة، وهم مذحج وغوث وجندب فهم من قبائل العرب اليمانية، جاء في كتاب نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي، مدحج إحدى قبائل العرب اليمانية القحطانية، والقبيلة الحربية الأولى، اجتمعت عليها جميع قبائل عدنان، ذكرها الرسول ﷺ بأنها القبيلة الأكثر في الجنة، قال: دخلت الجنة فوجدت أكثر أهلها اليمن، ووجدت أكثر أهل اليمن مدحج "عرفوا بالشجاعة والبراسة في الحروب، ولهم فضل عظيم في الفتوحات الإسلامية وفي نشر الرسالة السماوية، ومدح البحترى أيضا قريبه أبي الخطاب الطائي ببائية أثنى فيها على انتسابه لهذه القبيلة، يقول فيها:¹

وَصِلَتْ بَنُو عِمْرَانَ يَوْمَ فَخَارِهِ
قَوْمٌ يَضِيْمُونَ الْجِبَالَ وَقَدْ رَسَتْ
فَأَنَا ابْنُ عَمِّكَ وَالْمَوَدَّةُ بَيْنَنَا
فَاتَ الرَّجَالُ وَفِي الرَّجَالِ تَقَاوُتٌ
بِمَنَاقِبِ طَائِفَةِ الْأَنْسَابِ
أَعْلَامُهَا، بِرَجَاحَةِ الْأَبَابِ
ثُمَّ الْقَوَافِي سَائِرِ الْأَنْسَابِ
بِخَصَائِصِ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ

¹ - المصدر نفسه، ص125.

يتجلى نسق النسب في افتخار البحترى بمناقب قوم ممدوحه، ويصنفهم بالشجعان ويصف بلاءهم الحسن في الحروب، كما يصف تلك البطولات والشجاعة التي كانوا يتحلون بها أثناء مواجهة الخطوب بالإضافة إلى شرف خصالهم الجمّة الحسان، ويمدح الشاعر أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة، هو مؤرخ وجغرافي، قيل أنه إيراني الأصل وكان معتقاً دين الزردشتية، ثم انتحل دين الإسلام، عهد إليه في أيام خلافة الواثق بالله منصب (صاحب البريد والخبر) كانت تجمعه بالبحترى مجالس الأدب والفن في زمن الخليفة المعتمد العباسي، فأصبحت صديقين، هذا الأخير مدحه ببائية، يقول فيها¹:

إِنْ كَانَ مِنْ فَارِسٍ فِي بَيْتٍ سُودِدْهَا وَكُنْتُ مِنْ طِيٍّ فِي الْبَيْتِ ذِي الْحَسَبِ
فَلَمْ يَضِرْنَا تَنَائِي الْمُنْصِبِينَ وَقَدْ رُحْنَا نَسِيبِينَ فِي خَلْقٍ وَفِي أَدَبِ
إِذَا تَشَاكَتِ الْأَخْلَاقُ وَاقْتَرَبَتْ دَنَتْ مَسَافَةٌ بَيْنَ الْعُجْمِ وَالْعَرَبِ
إِسْلَمَ وَلَا زَلَّتْ فِي سِتْرِ مِنَ النَّوْبِ، وَعِشْ حَمِيداً عَلَى الْأَيَّامِ وَالْحَقَبِ

يهناه فيها بالسلامة من مرض ألمّ به، وكان صديقاً مقرباً للبحترى وذا مكانة عالية عنده، ويتشكل نسق النسب في الديوان من خلال افتخار الشاعر بنسبه، وهي قبيلة طيٍّ ويتجلى ذلك في الأبيات التي يتحدث فيها عن صديقه الفارسي، فيقول²

فَهَذَاكَ الْحَسَبُ الصَّمِيمُ، وَحَيْثُ لَا يُغْرِيكَ مِنْ نَسَبٍ قَرِيبِ الْمَطْلَبِ
قُلْتُ: أَرِعِي فِي سُرٍّ مِنْ رَا سَيِّدٌ كَرُمْتَ ضَرَائِبُهُ عَظِيمِ الْمُنْصِبِ
بَحْرٌ مَتَى تَقْفِ الظَّمَاءُ بِمَوْرِدِ مِنْهُ يَطْبُ لَهُمْ جَدَاهُ وَيَعْدُبِ

1 - أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن شمال بن جابر البحترى، ديوان البحترى، شرح وتحقيق، د يحيى شامي، دار

الفكر العربي، بيروت، ط1، لبنان 2005م، ص133.

2 - أبو عبادة البحترى، ديوان البحترى، ص135.

خَضْرُ بْنُ أَحْمَدَ طَوْدٌ عَزَّ شَامِحٌ راسِ دَعَائِمُهُ، أَمِينُ الْمَنْكِبِ

يتجلى نسق النسب في هذه المقطوعة المدحية التي نظمها البحتري هدية إلى ممدوحه، من خلال تبيان موضع إعجابه به فهو وسيّد ابن سيّد، وشريف الأصل، ورث الشرف عن قبيلته، فهو ذو الطلاقة والأريحية والنجدة، كما افتخر في قصيدته ببنو ربعة" هي بطن من بني عامر بن صعصعة، من العدنانية"¹. والتي تمثل إحدى أهم القبائل العربية التي ينتمي إليها الممدوح، دونما أن يخفى عليه طلبه النوال الذي يستحقه هذا الشعر المدحي، ويظهر هنا كيف أنّ الشاعر يوظف النسب كوسيلة للتقرب من الممدوح ونيل مودته وعطائه، وهذا نسق طاغ على شعر البحتري وأقرانه من الشعراء العباسيين ويثني على القاضي أبي اسحاق بن إسماعيل في قصيدة أخرى له، قال فيها²:

تَرَى النَّاسَ طَوْعًا ابْنِي نِزَارٍ، وَإِنَّمَا تَرَى ابْنِي نِزَارٍ طَوْعًا فَهَرٍ وَغَالِبٍ
مِنَ الْهَاشِمِيِّينَ الْأَلِيِّ كُلَّمَا دَنَوْنَا إِلَى هَاشِمٍ خُصُّوا بِأَعْلَى الْمَرَاتِبِ
وَإِنْ نَزَلُوا فِي النَّسَبِ مِنْ بَعْدِ هَاشِمٍ بَبَطُ عُلُوًّا فِي الْمَجْدِ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ

حرص البحتري في قصيدته هذه، على إظهار نسق النسب المتخفي بين أسطر هذه الأبيات، مستعينا بقدرته اللغوية والأسلوبية، فتوجه بمعنى القصيدة إلى المعنى الذي يريد توضيحه، حيث نسب ممدوحه إلى بنو هاشم الذين تميزوا بأعلى المراتب والتي أشرنا إليها سابقا، مشيدا على أجداد الرسول ﷺ فهر وغالب،" قال أبو عبيد: وكان لربعة من الولد،

1 - أبي العباس أحمد الفلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، ط2،

بيروت1980م، ص260.

2 - أبو عبادة البحتري، ديوان البحتري، ص145.

كلاب وفيهم البيت والشرف، وكعب وإليه العقد، وكليب وعامر، وأمهم مجد بنت تميم بن غالب، ابن فهر، وهي التي خمست بني عامر، اي جعلتهم خمسا¹.

ثانيا: نسق تكرار اسم محمد

يعد أسلوب التكرار من الأساليب التعبيرية التي تقوي المعنى وتعمق الدلالات، فترفع من قيمة النصوص الفنية، لَمَّا تضيفه عليها من أبعاد دلالية وموسيقية مميزة، لأنّ الصورة المكررة لا تحمل دلالات سابقة بل تحمل دلالات جديدة بمجرد خضوعها لظاهرة التكرار والذي بدوره يؤدي رسالة دلالية خفية عبر التراكم الفني للحرف أو الكلمة أو الجملة، ومن خلال هذا التراكم الفني يلفت نظر المتلقي إلى غاية دلالية أرادها الشاعر، والتكرار ظاهرة تساهم في التماسك النصي أو ما يعرف بالاتساق، وفي هذا يقول الدكتور أحمد مطلوب: "بأن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه وهذا شرط اتفاق المعنى الأول، والثاني فإن كان متحد الألفاظ والمعاني، فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقديره في النفس، وكذلك إن كان المعنى متحدا، وإذا كان اللفظان متفقين والمعنى مختلف فالفائدة الإتيان به للدلالة على المعنيين المختلفين"²، ولَمَّا كان للتكرار هدف عند الشعراء فهو توضيح الحالة النفسية للشاعر وكذا تحقيق التوازن ووضوح العمل الأدبي.

وقد حاولنا في هذا الجزء من بحثنا أن نسلط الضوء على نسق تكرار اسم محمد لَمَّا رأينا من تكراره بشكل ملفت للانتباه في ديوان البحثري، فهو نسق مهيم، ولعل ذلك راجع للقيمة الكبيرة التي يتمتع بها هذا الاسم في نفس شاعرنا وجميع المسلمين، لأنه اسم النبي الكريم ومعناه في اللغة ما يحمد المرء به، وهو اسم مذكر عربي، جاء على وزن اسم

1 - أبي العباس أحمد الفلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص260.

2 - أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ج1، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق 1989م، ص370.

المفعول المشتق من الفعل حَمَدَ والذي يُفيد المبالغة في معنى الحمد " جاء في لسان العرب، الحمد نقيض الذم، ويقال: حَمَدْتُهُ على فِعْلُهُ، ومنه المحمودة خلاف المذمّة¹.

انتشر هذا الاسم بين المسلمين على نطاق واسع جدا حبا وتعظيما، ولا بد أن هذا الاسم مقدّم على غيره، "حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَعِيدِ الطَّالِقَانِيُّ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُهَاجِرِ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَقِيلُ ابْنُ شَيْبٍ عَنْ أَبِي وَهْبِ الْجَسَمِيِّ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَامٌ وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمَرَّةٌ"² وذلك لأنهم هم القدوة الصالحة ولما في التسمية بهم من تذكير ودعوة للأجيال المتعاقبة، فيحفظ دين الله بها، ذلك بأن محمد أعظم خلق الله منحه سبحانه وتعالى من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره من قبله أو بعده.

منحه الله في الدنيا شرف النسب وكمال الخلقة، وجمال الصورة، وفصاحة اللسان، والأخلاق العالِيَّة، فكان من باب الرغبة في أن يحظى الرجل بصفات النبي أن يُسمى الرجل بأحد أسمائه، فكان تكراره بكثرة على لسان البحتري بغية شدّ انتباه ممدوحه إلى الغاية التي يُنشدها كقوله مثلا في قصيدة له مدح فيها أبي بكر محمد بن الفضل بن العباس لصدقه في الوعد³:

غَرِيْتُ بِأَرْبَعٍ: بِيَدٍ، وَعَنْسٍ وَأَيْلٍ دَامِسٍ وَرَجِيلٍ نَاءٍ
وَلَوْلَا أَحْمَدُ وَنَدَى يَدِيهِ لَبَاتَ الْمُعْتَفُونَ عَلَى الطَّوَاءِ
وَلَمْ يَكْ وَأَعِدًّا وَعَدًّا كَنُوبًا، وَلَا قَوْلًا يَقُولُ بِلاَ وَفَاءِ

1 - ابن الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت 1990م، ص352.

2 - سنن أبي داود، كتاب الأدب باب في تغيير الأسماء، حديث رقم 4950.

3 - أبو الوليد البحتري، ديوان البحتري، ص24.

هُوَ الْبَحْرُ الَّذِي حُدَّتْ عَنْهُ، هُوَ الْعَيْتُ الْمُغِيثُ مِنَ السَّمَاءِ

وقد سلك البحترى هذا الطريق فإختار اسم أحمد لممدوحه على خلاف أبي بكر بغرض إبرازه، فبيّنه ويكسبه بعض من صفات الرسول ليستميل قلب أبي بكر محمد بن الفضل وهي أحد أهم خواص تكرار الاسم.

وقد ظهر نسق تكرار تسمية محمد في قصائد البحترى، كوسيلة انتصر بها لمذهب ممدوحيه، ومحاربة خصومه من خلال مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم، أو مدحه آل البيت ونسبهم، إذ ثمة العديد من القصائد التي صور فيها الشاعر نزاع الأخ في خلفاء بني العباس وأخيه، ونزاع الأب وبنيه، فلجأ إلى استرجاع السيرة النبوية، وتذكير ممدوحيه وحاشيته بفضائل الرسول صلى الله عليه وسلم، بغية تهدئة الأوضاع السياسية، ونجده أيضاً في العديد من القصائد التي تشير إلى حروب الجهاد في بلاد الروم، وإلى بعض الثورات التي شهدها العصر، قام بها جماعة من المتمردين على سلطة الدولة العباسية، كمثل ثورة الزنج في البصرة والقضاء عليها على يد الموفق بالله العباسي، وبداية انتشار الفساد والطبقية، فيعود إلى المنبع الصافي للعقيدة الإسلامية بكل ما تمثله من عدل ونقاء، كما نجده أيضاً استخدم اسم محمد بمثابة الحلم والمهدئ لنفسه ونفس ممدوحه، فهو الدواء والطمأنينة للقلب لأنه بطل مجيد، كما هو نبي فريد.

أما عن تكرار هذا الاسم في تسمية الذين يمدحهم ليس بمحض الصدفة وإنما هو نسق سيطر على أسلوب المدح عند البحترى، فالمدح هو قدرة الشاعر على اختيار الألفاظ والصور للتأثير على الممدوح، ويؤكد نسق تكرار اسم محمد على براعة الشاعر وحنكته في التأثير على نفسية الممدوح، ويقول في قصيدة نظمها في مدح الفتح بن خاقان¹:

¹ - أبو عبادة البحترى، ديوان البحترى، ص33.

طُوبَى لِمَنْ وَالَى أَبُو مُحَمَّدٍ، وقل لمن عَادَى: تَأَهَّبَ لِلْعَطَبِ
طَاعَتْهُ فَرَضٌ فَإِنْ عَصَيْتَهُ كُنْتَ بِعَصِيَانِكَ لِلنَّارِ حَطَبِ
يَأْمَدِحُ الْفَتْحَ، وَيَا أَمْلَهُ لَسْتَ أَمْرًا خَابَ، وَلَا مَثْنٍ كَدَّبِ

يمدح البحترى الفتح بن خاقان، ويثني على مواهبه وشجاعته و تسنمه مقاليد الحكم، ويؤكد على وجوب طاعته والرضوخ لأمره، يظهر نسق تسمية محمد من خلال كنيته بأبي محمد، كنية الفتح، وهي إحدى الغايات التي سعى البحترى ووالدة الفتح بن خاقان الوصول إليها من خلال اسم محمد وقد أشرنا إليها سابقاً، أما في قصيدته "التي مدح فيها الموفق بالله الأمير العباسي الذي قضى فيها على ثورة الزنج والتي قال فيها¹:

فَعَادَ بَنُو الْعَبَّاسِ عَمَّ مُحَمَّدٍ وَشَاهِدُ عِزِّ النَّاسِ فِيهِمْ وَغَائِبُهُ
يَبِيئُونَ وَالسُّلْطَانُ شَاكٍ سِلَاحُهُ بَعْقَوْتِهِمْ، وَالْمَوْتُ سُودٌ ذَوَائِبُهُ
فِيَا نَاصِرَ الْإِسْلَامِ، لَوْ أَنَّ نَاصِرًا يُرَافِدُهُ فِي حِفْظِهِ وَيُنَاوِبُهُ
كَفَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَبَلَهَا كَفَيْتَ أَخَاهُ الصَّدَّاعَ يُعَوِّزُ شَاعِبُهُ

ينسب البحترى في هذه القصيدة قوم ممدوحه بنو العباس إلى الرسول بقوله "عمَّ محمد" بغية استمالة قلب الموفق بالله الأمير العباسي لأنَّ عليه أن يتحلى بالصفات الحسنة من رُفَعَةٍ وَنُصْرَةٍ لِلْإِسْلَامِ، فكنيته بأمرير المؤمنين كفيلا له بأن ينال رضاه وعطاياه.

ويقول في قصيدة أخرى²:

1 - أبو عبادة البحترى، ديوان البحترى، ص 89.

2 - المصدر نفسه، ص 129.

أَهَيْتُمْ، يَا بَنَ عَبْدِ اللَّهِ دَعْوَى مُشِيدٍ بِالنَّصِيحَةِ أَوْ مُهَيَّبِ
وما يدعى لما تدعى إليه سواك ابن النجيب والنجيب

البحتري على دراية تامة بنسب الرسول ﷺ "محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، ينتهي نسبه الشريف إلى إسماعيل بن إبراهيم، أبي الأنبياء عليهم السلام"¹. لهذا سمى أبي المعمر الهيثم بن عبد الله الوالي على الموصل من قبل العباسيين في قصيدته البائية، "يا بن عبد الله" نسبة إلى اسم الرسول ﷺ.

يطرح البحتري في هذا المقطع المدحي مناقب الممدوح ويثني على صفاته الكريمة بعد أن يسميه ابن أبي محمد نسبة إلى الرسول الكريم، ويقول في قصيدته "معرج لمعرج" والتي يمتدح فيها أبي نهشل محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي²:

سادوا وسادهم الأغر محمد بخلال أبلخ، في الهزاهز أبلج
بكرؤا، وأدلج طالب مجد، وهل يتعلق الغادي بشأو المدلج

يكرر فيها ذكر ممدوحه بأحب الأسماء إلى الله "محمد" فيثني عليه ويمجده ويرفعه منزلة عالية، كما يمتدح الحسن بن مخلد الكاتب والوزير، فيقول فيها³:

أَمَّا الْخُطُوبَ فَإِنِّي غَالِبْتُهَا فَعَلَبْتُهَا بِأَغْلَابِ الْجَجَّاحِ
بِأَبِي مُحَمَّدٍ الَّذِي طَأَّتْ يَدِي بِبَدَى يَدَيْهِ وَتَمَّ رِيشُ جَنَاحِي
ضَحِكَاتُهُ بِشُرِّ النَّوَالِ وَكَفُّهُ بَحْرٌ لِكَفِّ الطَّالِبِ الْمُمْتِنَاحِ

¹ - السيد محمد علي البلاوي، التعريف بالنبي والقرآن الشريف، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1927م، ط1، ص15.

² - المرجع نفسه، ص196.

³ - المرجع نفسه، ص221.

يُكسب شاعرنا في هذه الأبيات ممدوحه شرف تسميته "بأبي محمد" ثم ينتقل إلى وصفه بالسيد الشريف والمتاح هو السائل النوال والعطاء من امتاح البئر إذا استخرج ماؤها ويثني على كرمه وعطائه، وهذه قصيدة أخرى يمدح فيها الحسن بن مخلد، يقول فيها¹:

مَا لِلْمَحَامِدِ مُبْتَغٍ	إِلَّا الْأَعْرَ أَبُو مُحَمَّدٍ
وَإِذَا الْمَحَاسِنُ أُعْرِضَتْ	فَنِظَامُهَا الْحَسَنُ بْنُ مُخَلَّدٍ
تَعْقِيْدُ أَحْمَدَ ضَرْنِي	وَإِذَا أَمَرْتُ أَطَاعَ أَحْمَدُ
لَا أَحْرِمَنَّ تَعْجِيلَ مَا	قَدَّمْتُ مِنْ رَأْيٍ وَمَوْعِدُ

يستهل شاعرنا كعادته قصيدته بمطلع غزلي يقف فيه على أطلال مية يتذكر، ثم يتذكر محاسن ممدوحه، من كرم وفضل وحلم ووفاء ونصح وعزم، بعدها ينتقل إلى الثناء على سياسة الممدوح التي ينتهجها فهي بين لين وشدة وبين رغبة ورهبة، أما نسق تكرار كلمة محمد في صدر وعجز البيت دون أن يغير في بنيته، هو تكرار تام، مما خلق تماسكاً وترابطاً بين أجزاء النص، نراه في قصيدة أخرى عنوانها يمدح فيها علي بن محمد بن عياض فيختار له اسم "أبا محمدهم" يقول فيها²:

وَمَا نَخَلُ بِتَقْرِيبِ نَخْصِ بِهِ	أَبَا مُحَمَّدِهِمْ شُكْرًا وَاحْمَادًا
مِنْ خَيْرِهِمْ خَلْقًا سَمَحًا، وَأَقْعَدِهِمْ	فَضْلًا وَأَكْثَرِهِمْ فِي السُّرُوِّ إِسْنَادًا

يتجلى نسق تكرار اسم محمد في هذه الأبيات من خلال نسبة الشاعر كل الصفات الخلقية والخلقية الحسنة إلى ممدوحه من مدح وثناء، كذلك الشرف والثناء.

1 - ديوان البحترى ص 228-229.

2 - المصدر نفسه، ص 235.

وهذه قصيدة أخرى يمدح فيها البحتري أبي أيوب أحمد بن محمد بن شجاع المعروف بابن أخت أبي الوزير بقوله¹ :

تلقى شجاعا حيث تجتمع العلا
ويحل من دون القلوب إذا غدا
يا أحمد بن محمد نضب الندى
ومحمدا حيث استتار محمد
متكرما وكأنه متودد
من كف كل أخي ندى يا أحمد

محمد الأولى يقصد بها الممدوح أما الثانية فيقصد بها جده وينسب ممدوحه إلى كل موضع وجد فيه العلا والرفعة لأنه حاز على قلوب الناس بكثرة كرمه وعطائه، هذا ويكرر شاعرنا اسم أحمد في صدر وعجز البيت الأخير من أجل تعظيم ممدوحه من خلال عظمة هذا الاسم، أما في قصيدته الدالية التي نظمها في مدح الفتح بن خاقان مهنئا إياه بالعيد قائلا فيها²:

ويقيه ذم الرجال إذا شا
خلق يا أبا محمد استأ
حاد عن مجدك المسامي، وأمعد
ء رجال عن المعالي قعود
نفت منه مكارما ما تبيد
ت علوا، فصدّ عنك الحسود

فتراه حتى في قصيدته الدالية التي نظمها بغير الاعتذار من عبد الله بن يحيى بن خاقان يكرر لفظة اسم أحمد ليستميل قلب ممدوحه فيعفو عنه والتي قد قال فيها³:

1 - ديوان البحتري، ص 260.

2 - المصدر نفسه، ص 263.

3 - المصدر نفسه، ص 270.

أعين بباديه الخليفة جعفر
فلا أحرمن والفضل عندك يرتجى
وخصّ بتاليها الخليفة أحمد
ولا أظلمنّ والعدل عندك يوجد

يعتذر البحترى من الخليفة متخيرا له اسم أحمد حتى يستميل قلبه ويستعطفه فيعفو عنه، وهو موقن بأنّه صاحب العدل والحق لا يظلمنّ عنده أحد، وفي مجمل القول عن التكرار كظاهرة لغويّة، عرفتھا العربيّة في أقدم نصوصها التي وصلت إليها، ونعني بذلك الشعر الجاهلي ثمّ استعملها القرآن الكريم، ووردت في الحديث النبوي الشريف، وكلام العرب شعره ونثره، لإغناء دلالة الألفاظ، واكتسابها قوّة تأثيرية، كما لاحظنا ذلك مع تكرار اسم محمد في ديوان البحترى بجزئيه الأول والثاني.

ثالثا: نسق الشجاعة

الشجاعة صفة من الصفات التي درج الشعراء بها على مدح الخلفاء والملوك والقواد بها فهي تعني " الصبر والثبات والاقدام على الامور النافعة تحصيلها او دفعها وتكون في الافعال والاقوال بمعنى ان الشجاعة تكون ضمن القول او الفعل فالفعل يدخل في إطار الجرأة والاقدام والصبر. أما القول فيستلزم من الشجاعة ما يستلزم من الفعل وذلك من خلال ابداء الرأي¹، والشجاعة نسق مهيمن الى جانب الأنساق الاخرى على المدح في شعر البحترى، ويتمظهر ذلك في قوله:

¹ عبد الله رفاعي محمد أحمد، بناء الشجاعة الأدبية في ضوء القصص القرآني، مجلة بحوث الآداب، جامعة الأزهر، مصر، المجلد 37.

لَيْسَ النَّرَى وَالنَّيرَى وَالْعِزَّةَ قَعَسَاءَ إِلَّا السُّيُوفُ وَالْأَسْلُ
كُلُّ أَمْرِيءٍ شُغْلُهُ بِقِصَّتِهِ وَلِلْفَزَارِيِّ بِالْقَنَا شُغْلُ
فَكُنْ عَلَى أَدْهَرِ فَارِسًا بَطْلًا فَإِنَّمَا الدَّهْرُ فَارِسٌ بَطْلًا¹

فالبحتري من خلال هذه الأبيات وهو يمدح المتوكل بالشجاعة والعزة والبطولة في حين في كل مرة يكرر ويشير الى شجاعة المتوكل لكن بألفاظ مختلفة فهنا مثلا الشجاعة وصف الشاعر بها المتوكل وهو في الحرب مستعملا الفاظ تدل على ذلك مثل: الشعلة الفارس السيف البطل، الخ فالشاعر هنا من خلال هذه الابيات يجسد أسمى معاني الشجاعة، اضافة الى هذا فالشاعر في كل مرة وهو يمدح المتوكل ويبرز بعض من معالم شخصيته. فنسق الشجاعة يتمظهر عنده من خلال مجموعة من الالفاظ التي اسقطها على ممدوحه ويتجلى ذلك في قوله:

مُلُوكٌ، يَعْدُونَ الرِّمَاحَ مَخَاصِرًا إِذَا زَعَرَعُوهَا، وَالذَّرُوعَ غَلَائِلًا
إِذَا قَالَ وَعَدَاءً، أَوْ وَعَيْدًا تَسْرَعَتْ مَكَارِمُ تَنْثِي آجِلِ الْأَمْرِ عَاجِلُهُ²

فالشاعر وهو يثني على ممدوحه بالإشارة الى انه عندما تكثر الآراء والشبهات في المواقف وتختلط بالزيغ وتلتبس بالضلال فانه شديد الميل الى الحق، والتعصب لرأي الاكثرية الذين يمثلون الجماعة لأن الاكثرية لا تجتمع على باطل، وهذا ما جسد عنده نسق الشجاعة اذ ان المتوكل يتعصب لهم دون خوف او وجل بل بكل جراءة وشجاعة. ضف الى هذا ان صفة الشجاعة لم تقتصر على مدح البحتري للحلفاء والملوك حيث نجد ان هذا النسق الشعري يتمظهر في شعر حسان بن ثابت قائلاً:

1 - أبو عبادة البحتري، ديوان البحتري، ص348.

2 - المصدر نفسه، ص219.

وشبية اد يعلوه بالسيف مقدما
عبيدة لا يألو بعضب مهتد
فكيف رأيتم يوم بدر ضرابنا
و إقدامنا و الخيل لم تتبدد¹

فقد استطاع حسان بن ثابت أن ينقل أحداث غزوة بدر مستعينا بألفاظ نقلت لنا شدة الحرب وقوتها وشجاعة المسلمين في خوض هذه الحرب مثل: ضرابنا الخيل... الخ، وهذا دليل على أن العرب مند الازل معروفين بالشجاعة والاقدام والقوة وأن العربي كان على اكمل استعداد في أن يفني حياته في سبيل الحق. ما اشار اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجبن والشجاعة غرائز في الناس؛ تلقى الرجل يقاتل عمن لا يعرف وتلقى الرجل يفر عن أبيه²

كما يرد هذا النسق الشعري ويتمظهر بقوة في ابيات البحترى التي نظمها وهو يمدح الخلفاء وتطاولاتهم في الحروب مثل حرب تغلب والتي جسد فيها كل معاني الشجاعة والدفاع عن المظلومين ونصرهم بعد أن اوشكت الموت أن تلتهم اهل حمص قائلاً:

تَوَالَتْ أَيَادِيهِ عَلَى النَّاسِ، فَكَتَفَى
بِهَا كُلُّ حَيٍّ مِنْ شَامٍ وَمُعْرِقٍ.
فَكَمَ حَقَنْتَ فِي تَغْلِبِ الْعُلْبِ مِنْ دَمٍ
مُبَاحٍ وَأَدْنَيْتَ مِنْ شَتَيْتٍ مُفَرِّقٍ
وَكَمْ نَفَسَتْ فِي حِمصَ عَن مُتَأَسِّفٍ
عَدَا الْمَوْتُ مِنْهُ أَخِذًا بِالْمُخَنَّقِ³
ليكمل في قوله:

أَطَلَّ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
وَسَارَفَهُمْ مِنْ كُلِّ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ
بِيبِضٍ مَتَى تُشْهَرَ عَلَى الْقَوْمِ يُغْلَبُوا
وَخَيْلٍ مَتَى تُرْكَضَ إِلَى النَّصْرِ تَسْبِقُ⁴

¹ ديوان حسان بن ثابت، تحقيق د- سيد حنفي، ص199.

² عبد الله الرفاعي محمد أحمد، بناء الشجاعة الأدبية في ضوء القصص القرآني، مجلد 37

³ - أبو عبادة البحترى، ديوان البحترى، ص165.

⁴ المصدر نفسه، ص166.

فنسق الشجاعة يتمظهر في هذه الابيات من خلال مدح البحتري للمتوكل عندما قدره الله لأهله من اجل مساعدتهم من مخالب الموت المحيط بهم والواقع عليهم مبرزاً كيف حاصر المتوكل الاعداء من الشرق والغرب بما اوتي من قوة وشجاعة وكيف بث روح الحمية والشجاعة في نفوس المحاربين الذين خبت نار العزيمة عندهم فالشجاعة عند الشاعر، الشجاعة كانت ولا زالت محل اهتماما للناس ومهوى أفئدتهم، إذ هي للقوي شرف وللضعيف ترف، فالقوي الشجاع يدفع الغير إلى إنزاله المكانة التي يرى نفسه أهلاً لها، والضعيف يرى في سماع قصص الابطال الشجعان تعويضاً عن نقصه، وإن خضنا في نسق الشجاعة اكثر وجدناه تجسد في عدة صور عند البحتري سواء في الاقوال او الافعال، كما تجلى نسق الشجاعة في عدم لين الممدوح للدلالة على الصلابة اي انه لا يهاب بل يعادي من يظهر الظلم والتعسف ويخاصم بقوة من راح يتعدى ويتجاوز حقوق الاخرين، فالشاعر في كل مرة يثني على ممدوحه ويشيد بمشاركته في اقوى الحروب ويظهر هذا في قوله وهو يمدح المتوكل:

خَيْلٌ كَأَمْثَالِ الرِّمَاحِ وَفِتْيَةٌ مِثْلَ السُّيُوفِ إِذَا دُعِيَ لِمَشْرِفِ
زُهْرٌ إِذَا التَّهَبَّتْ بِهِمُ شُعْلُ الطُّبَا عَطَفُوا عَلَى أَوْلَى الْقَنَا الْمُتَعَطِّفِ
يَهْدِيهِمُ الْأَسَدُ الْمُطَاعُ كَأَنَّهُ عِنْدَ اجْتِمَاعِ الْجَحْفَلِ الْمُتَأَلِّفِ¹

ليكمل في قوله:

كَأَنَّكَ السَّيْفُ حَدَاهُ وَرَوْنَقُهُ وَالْغَيْثُ وَابِلُهُ الدَّانِي وَرَيْقُهُ
هَلِ الْمَكَارِمُ إِلَّا مَا تُجْمَعُهُ أَوْ الْمَوَاهِبُ إِلَّا مَا تُفْرَقُهُ
مَجْدًا أَبَا مُسْلِمٍ أَصْبَحَتْ مِنْ كَرِّ مِ تَجْدُهُ وَتِلَادًا ظَلَّتْ تُخْلِقُهُ²

1 - أبو عبادة، ديوان البحتري، ص218.

2 المصدر نفسه، ص219.

فنسق الشجاعة تجلى في هذه الابيات من خلال استعانة الشاعر بالاستعارة من خلال قوله: يهديهم الاسد المطاع فهنا المقصود بالأسد هو المتوكل وقد استعان الشاعر بالأسد للدلالة على القوة كما تظهر هذا النسق بطريقة واضحة من خلال التشبيه البليغ الذي استعان به الشاعر من اجل التأثير في الممدوح وابرار شجاعته وهذا التشبيه هو صورة من صور نسق الشجاعة. علاوة على هذا نجد الشاعر يستعين في مدح المتوكل مرة اخرى مستعينا بالتشبيه البليغ قائلاً¹:

ساقَ الْأُمُورَ بِعَازِمِهِ فَاسْتَوَسَّقَتْ لِمُوقِّقٍ فِي أَمْرِهِ عَزَامَ
فَخَمَّ إِذَا حَمَلَ السِّلَاحَ عَجِبَتْ مِنْ بَدْرِ تَأَلَّقَ فِي سَوَادِ عَمَامِ
لِبَّاسِ أَثْوَابِ الْحُرُوبِ مُشَمَّرٍ عَن سَاعِدِي أَسَدٍ بَبِيئَةِ هَامٍ²

فالشاعر من خلال هذه الابيات وهو يمدح المعترز بالله بالعزيمة والتألق والشجاعة في قيادة الحروب وهو حامل للسلاح، مستعينا في ذلك بالتشبيه في حين يشبه الممدوح بالبدر في التألق والشجاعة في الدخول الى ساحة الحرب قائلاً: بدر تألقا في سواد عصام حيث تجلى نسق الشجاعة من خلال استعانة الشاعر كذلك بالاستعارة المكنية حين قال: لابس لأثواب الحرب للدلالة على القوة والشجاعة ولم يقل مشمراً على ساعديه بل قال مشهر عن ساعدي الأسد ليبين ويشير الى عزيمة الممدوح في الحرب. كما تظهر هذا النسق في قوله³:

لَمَّا شَهَرْتَ السَّيْفَ مُزْدَلِفًا بِهِ قَلِقَ الْعَبِيدُ وَرَامَ كُلُّ مَرَامِ
وَرَحَفَتْ مِنْ قُرْبٍ فَلَمْ تَكُ دَارُهُ لَمَّا زَهَفَتْ إِلَيْهِ دَارَ مُقَامِ
جَمَعَ الْعَزِيمَةَ وَالْإِبَاقَ بِفَرَّةٍ مَذْكُورَةٍ أَحَزَّتُهُ فِي الْأَقْوَامِ

1 - أبو عبادة البحترى، ديوان البحترى، ص 220.

2 - المصدر نفسه، ص 220.

3 - المصدر نفسه، ص 335.

فنسق الشجاعة يتمظهر في هذه الابيات من خلال استعانة الشاعر بألفاظ تدل على قوة وشجاعة المتوكل مثل: السيف، العزيمة، الرماح، الليث، التقدم، مقتحم ... الخ بحيث أن شجاعة الممدوح كانت في الحروب تظهر كثيرا من خلال مقاومته للظلم والاعداء "مما يبعث على الشجاعة في الرجل القوي أن يظن خيرا بنفسه" فالبحترى من خلال هذه الابيات وهو يبرز شجاعة المتوكل وقوته، التي كانت من أجل محاربة الاعداء ونصرة الحق، وكيف كان من اولي العزم والاقدام، ولم يبالي بحياته من أجل الدفاع عن المظلومين.

الشاعر وهو يمدح المتوكل بالقوة والشجاعة التي تعتبر للقوي شرف، نجده يكرر هذا المدح ولكن بصورٍ مختلفةٍ في كلِّ مرةٍ فمرةً تكون الشجاعة والبطولة بالأفعال ومرةً أخرى تكون بالأقوال مثلا: كان يشهد الحق ويكون شاهدا عليه وأن تكون له الجرأة في الحكم بين الناس دون خوف او تردد، كما عبر عنها الجاحظ "الأسباب المشجعة قد تكون عن الغضب والشراب والهوج والغيرة والحمية. وقد تكون من قوة النفخ وحب الاحدوثة، وربما كان طبعا كطبع الرحيم والسخي والبخيل والجزوع والصبور وربما كان للدين ولكن لا يبلغ الرجل للدين ما لم يشيعه بعض ما تقدم، لأن الدين مجتلب مكتسب ولا يكاد يبلغ الطبيعة، ولا يصدق القتال الاثلاثة: متدين وغيران، ومتعمص من دل" وفي الاخير نستنتج أن نسق الشجاعة تجسد مرات عدة في شعر البحترى كما أنه تشكل في كل مرة بصورة تختلف عن الاخرى ليرز شجاعة وبطولة الملوك والحكام الدين كان لهم حضورا قويا في اغلبية الحروب من اجل الدفاع عن الاهل ونصرة المظلومين وإنصاف الحق .

رابعاً: نسق الجود والكرم

الجود والكرم من الصفات التي عبر عنها الشاعر ودرجها في مدح الخلفاء والملوك بها فهو يعني "فالكرم والجود من مكارم الاخلاق ومن أفضل الصفات على الاطلاق اوصى الله نبيه الكريم وحثنا عليها في كتابه وجعلها من دلائل الايمان وشرفها بالذكر في القرآن ومنها الاكرام والتكريم في كل امر جليل وعظيم"¹ فالكرم والجود من الصفات والسمات التي عرف بها العرب قديما وحديثا، والتي مدح بها الشعراء الملوك والحكام، وهذا ما تمظهر في شعر البحتري²:

أَبْدَى التَّوَّاضُعَ لَمَّا نَالَهَا رِعَةً مِنْهُ وَنَالَتَهُ فَاخْتَالَتَ بِهِ تَيْهَا
إِذَا تَجَلَّتْ لَهُ الدُّنْيَا بِجَلِيلَتِهَا رَأَتْ مَحَاسِنَهَا الدُّنْيَا مَسَاوِيهَا
يَا ابْنَ الْأَبَاطِحِ مِنْ أَرْضِ أَبَاطِحِهَا فِي ذُرْوَةِ الْمَجْدِ أَعْلَى مِنْ رَوَابِيهَا
مَا ضَيَّعَ اللَّهُ فِي بَدْوٍ وَلَا حَضْرٍ رَعِيَّةً أَنْتَ بِالْإِحْسَانِ رَاعِيهَا

فنسق الجود والكرم يتجلى في هذه الابيات من خلال مدح البحتري للمتوكل بالجود والكرم ومن خلال تصويره لكرم وسخاء الممدوح في حالة معينة وفي وقت محدد، لأن جوده وكرمه يظهر في لحظة يعجز عنها الكرماء ويتفئها الأسخياء سواء كانوا أمراء أو ملوكاً موظفاً صفة الجود والكرم عند الممدوح بطريقةً بليغةً، قائلاً³:

جَادَتْ يَدُ الْفَتْحِ وَالْأَنْوَاءُ بَاخِلَةً وَذَابَ نَائِلُهُ وَالْغَيْثُ قَدْ جَمَدَا
وَقَصَّرَتْ هِمَمُ الْأَمْلَاقِ عَنِ مَلِكٍ تَطَاطَأُوا وَسَمَتَ أَخْلَاقُهُ صُعْدَا
يُشِيدُ الْمَجْدَ قَوْمٌ أَنْتَ أَقْرَبُهُمْ نَيْلًا وَأَبْعَدُهُمْ فِي سُودِدِ أَمْدَا
وَمَنْ يَبْتَ مِنْكَ مَطْوِيًّا عَلَى أَمَلٍ فَلَنْ يِلَامَ عَلَى اعْطَاءِ مَا وَجَدَا

1 - أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الفاسي، متن الأجروميّة في علم أصول وفروع العربيّة، دار الصحابة للتراث، تح ضحى رشاد عبد الكريم، كتيبة اللغة العربيّة، جامعة الأزهر، ص04

2 - أبو عبادة البحتري، ديوان البحتري، ص545.

3 - المصدر نفسه، ص5.

يتمظهر نسق الجود والكرم في هذه الأبيات من خلال تصوير اليد الجارحة وكأنها صاحبة قلب وعقل تبادر للحسنى وتسارع للخير والبر لأنّ المعلوم أنّ اليد ليست هي التي تجود وتتكرم، وإنّما الإنسان بروحه وعقله وما اليد إلاّ وسيلةً في إنجاز فعل الكرم لهذا نجد الشاعر عبر عن جود وكرم الممدوح بطريقة بليغة ففي لحظة جود وكرم الممدوح شوهدت الأنواء في حالة الامساك والقبض، وذلك اما لعجز او ضعف، وأن الكرم الذي بحوزته قد نفذ وهي تباري يد الفتح في جودها.

كما يتمظهر نسق الجود والكرم عند الشاعر في مدح الفتح بن خاقان قائلاً¹:

لَقَدْ جَشِمَ الْفَتْحُ بِنُ خَاقَانَ خُطَّةً مِنْ الْمَجْدِ مَا يَسْطِيعُهَا الْمُتَجَشِّمُ
يَبِيْتُ الْمَضَاهِي فَاتَرَ الطَّرْفِ دُونَهَا وَيَعْجِزُ عَنْهَا الْمُقْتَدَى الْمُتَعَلِّمُ
مَتَى تَلَقَّه تَلَقَّ الْمَكَارِمَ وَالنَّدَى وَبَعْضُهُمْ فِي الْفَرَطِ وَالْحَيْنِ يَكْرُمُ

فالشاعر وهو يمدح الفتح بن خاقان بالكرم والجود ذكر فضاءله وأنّه بلغ ذروته في كثرة الجود والسخاء، وكل هذه الصفات وضحا ليبين أنّ الممدوح كان يتبع مكارم الأخلاق وأجودها، علاوة على هذا نجد أنّ نسق الجود والكرم يتمظهر في هذه الأبيات من خلال مجموعة من الالفاظ مثل: الندى وهي صفة لتعبير عن الجود والكرم كما يتجلى هذا النسق في قوله وهو يمدح المتوكل²:

لَمْ أَلْفَهُ حَتَّى لَقَيْتُ عَطَاءَهُ جَزْلاً وَعَرَفَنِي الْغِنَى مَعْرُوفُهُ
فَتَقَتَّتْ بِالْإِذْنِ لِي أَبْوَابُهُ وَتَرَفَعَتْ عَنِّي إِلَيْهِ سُجُوفُهُ
عَطَفَتْ عَلَيَّ عِنَايَةً مِنْ وُدِّهِ وَتَتَابَعَتْ جُمَلاً إِلَيَّ أُلُوفُهُ

فالشاعر وهو يمدح المتوكل وكأنّه لا يعرفه حتى رأى جوده وعطاءه الجزيل، حيث كان هذا المظهر بالنسبة له غني عن التعريف الذي كان مصاحب بالعطف

1 - أبو عبادة البحتري، ديوان البحتري، ص6.

2 - المصدر نفسه، ص136.

والشرف والعزة "فالكرم والجود من الأخلاق العريقة التي عرفها الإنسان منذ الأزل
فلازموها في تعاملاتهم ومدحوا بها ساداتهم وجعلوها دليلاً للرفعة والافتخار ومدحوا
بها ساداتهم لما فيها من إثارة، وعلو الهمم والأقدار، وجعلوها نقيضاً للؤم والنار،
وفي فقدها كل مدممة وعار"¹

كما يتجسد نسق الجود والكرم والسخاء في شعر البحـتري وهو يمدح المتوكل
قائلاً²:

أَيُّ الْيَدَيْنِ أَجَلُّ عِنْدِي نِعْمَةً إِغْنَاؤُهُ إِيَّايَ أَمْ تَشْرِيفُهُ
غَيْثٌ تَدْفَقُ وَاللُّجَيْنُ رِهَامُهُ فِينَا وَلَيْتُ وَالرِّمَاحُ غَرِيفُهُ

فالشاعر من خلال هذه الابيات يظهر وكأنه في حيرة من امره وذلك لبساطة
الممدوح وكثرة العطاء لديه وحسن التعامل. كما أن الشاعر يعبر عن جود وكرم
الممدوح وسخاءه وإن كانت الغاية من هذا المدح هي التقرب من الخلفاء والملوك
رغبة في العطاء والتكريم منهم وتقاس درجة المدح بدرجة سخاء الممدوح، ويمكن
الكشف عن هذا النسق مرة أخرى في قوله³:

بَرَقَتْ مَخَابِلُهُ لَهَا، وَتَحَرَّقَتْ فِيهَا عَزَالِي جُودِهِ، تَحْرِيقًا
صَفَحَتْ لَهُ عَنْهَا السَّنُونَ، وَوَا جَهَتْ أَطْرَفُهَا وَجَهَ الزَّمَانُ طَلِيقًا
رَفَعَ الْأَمِيرُ أَبُو سَعِيدٍ ذِكْرَهَا وَأَقَامَ فِيهَا لِلْمَكَارِمِ سُوقًا

ليكمل قائلاً:

¹ - أبي عبد الله محمد بن محمد بن داوود الصنهاجي الفاسي، متن الأجرومية في علم أصول وفروع العربية، دار الصحابة
للنشر، تح ضحى رشاد عبد الكريم، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ص 04.

² - أبو عبادة البحـتري، ديوان البحـتري، ص 137.

³ المصدر نفسه، ص 149.

أرسي قواعده معن بئن زائدة في باذخ من شواة النجم محتال
إذا سراً عطاياه سرت أسرت يد المكارم ، واستعنت عن العقل¹

فنسق الجود والكرم في كل مرة يظهر في شخصية الممدوح في صورة تبرز كرمه وعطاءه فالشاعر من خلال هذه الأبيات استعان في تشبيهه ليد أمير المؤمنين في بسطها وتصديقها على الآخرين كالمطر المتساقط، لكثرة العطاءه.

خامسا: نسق الضياء والنور:

لم يتوقف مديح البحري للخلفاء والملوك على المديح المعنوي فقط وإنما تعدى إلى المديح الذاتي، ووصفهم بأبهى المناظر والإطلاقات، فالضياء والنور صفة من الصفات التي أدرجها الشعراء في مدح الخلفاء والملوك: "فالنور وسيلة ولغة تعبر عن الجمال، واقعا ووجودا"² والضياء والنور نسق مهيم إلى جانب الأنساق الأخرى، التي تجلت عند البحري خلال مدحه للملوك، ويتمظهر ذلك في قوله³:

وفي الخدور بدور فلما طلعت
مفسومة بين أرداف مبتلة
إلا تصرم ضوء البدر أو كسفا
تدعوا الهوى، وخصور أرهفت هيفا⁴
ليكمل في قوله:

لبست من الذهب الصقيل سقوفه
فترى العيون يجلن في ذي رونق
نورا يضيء على الظلام الحافل
متلهب العالي أنيق السافل⁵

¹ المصدر نفسه، ص 155.

² -ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام- صالح أحمد الشامي، ط1- بيروت، دمشق، ص 11.

³ -أبو عبادة البحري، ديوان البحري، ص 141.

⁴ -المصدر نفسه، ص 141.

⁵ -المصدر نفسه، ص 233.

فالشاعر من خلال هذه الأبيات وهو يمدح الحسين محمد بن صفوان العقيلي بالبدر الذي يعبر ويشير إلى الضوء الساطع والمنتشر استعان بمجموعة من الألفاظ التي دلت على نسق النور والضياء مثل الضوء، البدر، طلعت... الخ، فكأها ألفاظ تدل على مدى الإشعاع وحسن الظهور فالضياء والنور عادة ما يمدح به من أجل لفت الانتباه إلى الشخص، كما يتمظهر هذا النسق في قوله¹:

تَبَيَّضُ نُقْبَتُهُ وَيَسْطَعُ نَوْرُهُ حَتَّى تَكِلَ الْعَيْنُ فِيهِ وَتَتَكَلَّا
كَالْكَوْكَبِ الدُّرِيِّ أَخْلَصَ ضَوْءُهُ حَلَّكَ الدُّجَى حَتَّى تَأَلَّقَ وَأَنْجَلِي

فنسق الضياء والنور تجلى من خلال تعبير الشاعر واستعانه بأسمى معاني الإشراق على الممدوح المعترز بالله بوصفه نورا يضيء على الظلام الحالك، باعتبار الضوء المنتشر هو الذي يعين على الإبصار ورؤية الشيء بوضوح أكثر، فالشاعر في كل مرة يصف فيه الممدوح بالنور، يكون له تعبير آخر بطريقة بليغة منتظمة باعتبارها الصفة اللافتة للنظر والتي زادت الممدوح جمالا، وزيادة في تقرب الناس منه.

علاوة على هذا يتجلى نسق الضياء والنور في شعر البحتري من خلال استعانه بالألوان، أو ما نسميه باللون الشعري في القصيدة العربية، فالشاعر في مرآت عدّة يصف الممدوح باللون الأبيض هو الذي عادة ما يوحي عند العرب بالخير، والشيء الجميل وهو رمز للنقاء والصفاء والضياء، ونسبه إلى عناصر من جسم ممدوحه كاليدين والوجه... الخ.

1 - المصدر نفسه، ص 234.

وهذا ما تجلى في قوله¹:

ببيضُ الوجوهِ معَ الأخلاقِ وجدُّهمُ بالبأسِ والجودِ وجدُّ الأمِّ بالوَدِّ
بتنا ولي قمرانِ وجهُ مُساعدِي و الـ بدرُ إذ وافى التمامَ وأكملاً
ليكمل في قوله²:

تبييضُ نُقبتهُ وَيَسْطَعُ نورُهُ حتَّى تكلَّ العينُ فيه وتَنكَلَا
كالكَوكِبِ الدَّريِّ أَخْلَصَ ضوُ ه حَلَاكَ الدُّجى حتَّى تَأَلَّقَ وَأَنْجَلَى

فالشاعر من خلال هذه الأبيات وهو يصف المتوكل بالضياء والنور والسطوع واطهار مواطن الجمال، وظف المجازات والتشبيه بحيث يتمظهر هذا النسق الشعري من خلال الألفاظ الدالة عليه، مثل: النور، الضياء، القمر، الكواكب، السطع، البياض... الخ

فالشاعر يثني على الممدوح بصفة الضياء والنور من خلال استعانته وتوظيفه للمجازات المترابطة التي تصور المعنوي في صورة المحسوس وتجسده ثم تشخصه وتبد له صفات الأحياء من الحركة والإحساس على نحو بليغ، وهذا ما تجسد في قول البحترى³:

كَالبدرِ غيرِ مُخَيَّلٍ وَالغُصنِ غيِّ رَ مُمَيَّلٍ والدَعصِ غيرِ مُهَيَّلِ
ما الحُسْنِ عِنْدَكَ يا سَعَادُ بِمُحسِنِ فيما أتاهُ وَلَا الجَمالُ بِمُجَمِّلِ
ليتم قائلًا⁴:

1 - أبو عبادة البحترى، ديوان البحترى ، ص274.

2 - المصدر نفسه، ص278.

3 - أبو عبادة البحترى، ديوان البحترى، ص282.

4 - المصدر نفسه، ص235.

وَالشَّمْسُ لَوْلَا ضَوْؤُهَا مَا اسْتَحْسَنَ وَالْبَدْرُ لَوْلَا نُورِهِ لَمْ يَحْمِلِ
بِوَجْهِهِ يَمَلَأُ الدُّنْيَا ضِيَاءً وَكَفَّ تَمَلَأُ الدُّنْيَا نَوَالًا

فالشاعر لم يقتصر في مدحه للخلفاء والملوك على صفة النور والضياء بالألوان فقط بل تعدى إلى الطبيعة والاستعانة بعناصرها، وهنا تظهر استعانة الشاعر باللون الشعري مثل البدر، الشمس، القمر، كما تظهر هذا النسق في قوله¹:

تَنْظُنُّ البُرْقَ مُعْتَرِضًا، إِذَا مَا جَلَا، عَن تَغْرِهَا، حُسْنَ ابْتِسَامِ
كَنَّوْرِ الأَفْحَوَانِ جَلَاهُ طَلٌّ وَسِمَطِ الدَّرِّ فُصِّلَ فِي النُّظَامِ

تجلى نسق النور والضياء في استعانة الشاعر بنبات الأفحوان للدلالة على بياض أسنان المحبوبة التي تزيدها حسنا وجمالا بحيث استعان بهذا اللون من أجل أن يتعمق في مدح المحبوبة وإظهار حسنها وجمالها.

نستنتج من خلال أبيات البحترى التي عبر فيها عن جمال الممدوح ونقل صفاته الذاتية والمعنوية في صورة مفعمة بالنور والضياء وتبيان محاسنه الذاتية، أنه أظهر مدى استطاعته وقدرته الفنية العالية في توازن الصورة الشعرية، فنسق الضياء والنور الذي تجسد في شعر البحترى في صور عديدة ومختلفة ذاتية ومعنوية كانت لها الأثر في تبيان المبادئ والقيم الأسلوبية والاجتماعية والثقافية والدينية.

1 - أبو عبادة البحترى، ديوان البحترى، ص 280.



الفصل الثاني: أنساق مدح الرسول صلى الله عليه وسلم

أولاً : نسق نسب الرسول وأل بيته

ثانياً: نسق آثار الرسول صلى الله عليه وسلم

ثالثاً: نسق الأخلاق الحميدة

رابعاً: نسق النور والضياء

أولاً: نسق نسب الرسول ﷺ وآل بيته

إنَّ أشرف الأنساب نسب الرسول ﷺ ، وأشرف الانتساب ما كان لأهل بيته إذا كان الانتساب صحيحاً، وقد كثر في العرب والعجم الانتماء إلى هذا النسب، فمن كان من هذا البيت الشريف وهو مؤمن حقاً فهنيئاً له الجمع بين شرف الايمان وشرف النسب، ومن ادعى هذا النسب الشريف وهو ليس من أهله فقد ارتكب أمراً محرماً، إنَّ تزكية الله عز وجلّ لرسوله الكريم، وكذا العقليّة العربيّة التي تعول كثيراً على طهارة الأنساب يظهر هذا النوع من قصائد المديح النبوي والذي يسعى إلى تنزيه لنسب الرسول الكريم من سفاح الجاهليّة، وهذا معناه تقدير شرف الأصل.

المُسَلَّمُ به أنّ نور النبوة انتقل من صلبٍ إلى صلبٍ حتى وصل إلى نبي الإسلام "محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان"، إلى هنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النسابين، ولا خلاف في البتة، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف بينهم في أن عدنان ولد اسماعيل عليه السلام، واسماعيل هو الذبيح على القوم الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم¹ وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنّه وضّح نسبه الشريف فقال: "إنَّ الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى قريش من بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"² رواه الترميذي

1 - شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المشهور بابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ضبطه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، لبنان 2009م، ص23.

2 - الإمام أبي حسين مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، حديث رقم 5961، دار صادر بيروت، لبنان دت، ص868.

بهذا النسب هو أفضل من جميع بني آدم، وجميع الأنبياء والمرسلين، وهو من أشرف بيت من بيوت العرب، أحد أشرف فروع قريش، هذه الأخيرة أشرف قبيلة في العرب، وقد تغنى الكثير من شعراء المديح النبوي بالنسب الشريف للرسول الكريم، فهذا علي بن أبي طالب في إحدى أبلغ خطبه مادحاً نسب الأنبياء، ومستمداً أصولها ومعانيها من القرآن الكريم يقول فيها "استودعهم في أفضل مستودع، وأقرهم في خير مستقر، تناسخهم كرائم الأصباب، إلى مطهرات الأرحام، كلما مضى منهم سلف.

قام منهم بدين الله خلف، حتى أفضت كرامة الله سبحانه وتعالى إلى محمد، فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً وأعز الأرومات مغرساً، من الشجرة التي صدع منها الأنبياء، وانتخب منها أمناه، عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كرم، لها فروع طوال، وثمرات لا تتال، فهو إمام من اتقى وبصيرة من اهتدى، سراج لمع، ضوؤه وشهاب سطع نوره، وزند برق لمعه، سيرته القصد، سنته الرشد وكلامه الفصل، وحكمه العدل"¹ ولو استرسلنا نستقرئ فيما ورد في خطب الإمام علي بن أبي طالب من أمثال هذه الفقرات لطال بنا القول ولكن ارتأينا أن نكتفي بما أسلفنا من كلامه لنبيّن مايدل على مافي خطبه من أصول المدائح النبويّة.

الجدير بالذكر أن نظم الشعراء العرب في المديح النبوي لا يشبه بالمدح التكسبي أو التملق إلى الملوك والسلاطين والأمراء والوزراء وإنما هذا المدح خاص للنبي الكريم بالصدق والمحبة والعشق الروحاني، فكان من هم الشاعر أن يرفع من شأن قبيلته أو قبيلة ممدوحه حين ينسبها إلى الرسول الكريم ﷺ في المقابل نجد بعض الشعراء لم يخصصوا قصائد في مدح النبي الكريم أمثال البحثري إلا أنّ أشعارهم كانت تتضمن هذا المديح،

¹ - الإمام علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، ج1، ص201-202.

فالقارئ للقصيدة من الوهلة الأولى لا ينتبه إلى ذلك النسق المضمّر بين أسطرها، إلا أن التوسل إلى الممدوح باسم الرسول الكريم مظنة حصول الخير والبركة يُظهر لنا ذلك.

يقول البحتري¹:

تَرى النَّاسَ طَوَّعَ ابْنِي نِزَارٍ وَإِنَّمَا تَرى ابْنِي نِزَارٍ طَوَّعَ فَهْرٍ وَغَالِبِ
مِنَ الْهَاشِمِيِّينَ الْأَلَى كُلَّمَا دَنُوا إِلَى هَاشِمٍ خُصُّوا بِأَعْلَى الْمَنَاقِبِ

يتكرر نسق مديح الرسول الكريم عند البحتري من خلال تكرار مدح أجداده في مجموعة من القصائد، فنجد في قصيدة أخرى يقول فيها²:

فَبِكُمْ قَدَّمْتُ قُصَايَا فُرَيْشٍ. وَبِهَا قَدَّمْتُ قُرَيْشًا نِزَارُ.

نستخلص من عرضنا للنموذجين أنّ في التوسل يأس واستسلام، وفيه نفور من الحاضر، وعودة إلى الماضي، من أجل الخلاص في المستقبل، وهذا واضح من خلال ذكر أجداد الرسول صلى الله عليه وسلم فهر وغالب ونزار الذين ذكرناهم في نسب الرسول الكريم ومن هنا يتمظهر نسق النسب الشريف للرسول الكريم □ في تكرار ذكر انتساب ممدوحه إلى أجداده، والاعتزاز بالهاشميين الذين أخصهم الله بأعلى المراتب، وقد تعرضنا لها بالتفصيل في الفصل الأول، وهذا مظهر آخر من مظاهر التوسل إلى الممدوح باسم الرسول الكريم □ بغية حصول الرضا وهو مدرك تمام الإدراك أنّ الذي يلجأ إلى ذكر الحبيب قبلت شفاعته، لأنه الحبيب الذي يقبل شفاعته كل من أتاه مذنباً تائباً فيقول³:

¹ -ديوان البحتري، ص145.

² - المرجع نفسه، ص415.

³ - ديوان البحتري، ص 373.

بِحُبِّي بِذُلِّي بِالْجَوَى بِتَحْيِيرِي بِسُقْمِي بِضَعْفِي بِاتِّصَالِ تَلْدُدِي
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ الْعَظِيمُ جَلَالُهُ فُرَانًا عَلَى لَفْظِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

يتجلى نسق مديح الرسول الكريم □ في هذه القصيدة من خلال وصف البحترى لحرقته، وحيرته وكثرة تلفته يمينا وشمالا فأراد أن يشعر بالأمان والسلام الداخلي، وهو على يقين تام بأن هذا لا يتأتى له إلا بذكره كلام الله عز وجل، وتعظيمه لخير البشر لأنه شفيعنا في الدنيا والآخرة، واللاجئ له وقت المحن كالتمسك بالحبل القوي الذي لا ينقطع فهو الملاذ الذي خيره الله ليكون سندا لنا في هذه الحياة، ويقول شاعرنا بيتاً آخر في نفس القصيدة، مُتجلياً فيها نسق مديح بنو هاشم ويختار لها دائماً موضعاً عالياً، يبرز رفعة مكانتها مرة يجعلها بين الجبال بقوله¹:

عَلَّتْ هَاشِمٌ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ كُلِّهِ. سَنَامَ الْعُلَا فَوْقَ الذُّرَى وَالْغَوَارِبِ

الغوارب يقصد بها الجبال، ومرةً أخرى يتخذ لها موضعاً أكثر ارتفاعاً فيجعلها في السماء بين النجوم والكواكب فيقول²:

بيوت ملوك الناس بينين في الرُّبَى وهاشم مبنى بيتها في الكواكب

ثم يسترسل في قصيدته ناسبا نفسه وممدوحه إلى نسل الحسين الطاهر وآل بيت رسول الله □ ، قائلاً³:

فحن لهم نسل الحسين وطاهر لياناً، ولالأعداء نسل المصاعب

1 - المرجع نفسه ، ص 145.

2 - ديوان البحترى، ص 145.

3 - المرجع نفسه، ص 145.

يتجلى نسق مديح نسب آل بيت رسول الله ﷺ في هذه القصيدة من خلال وصف الكميث لهواه وإخلاصه لهم، فهم من أهل الكرم وأهل العدل وأرباب النظر في إحقاق الحق، وأنهم مصيبون في أفعالهم.

يقول البحتري¹:

مدائحهم في كل أوب ووجهة يغني بها الركبان فوق الركائب

يصف في هذا البيت موكب عاشوراء خاصة وأن مقتل الحسين من الحوادث التي شغلت خواطر المسلمين أجيالاً طوال، وقد تحدث الدكتور زكي مبارك عن هذا في كتابه المدائح النبوية واصفاً هذا الموكب وما يحضى به أهل بيت رسول الله ﷺ من مديح وثناء، حيث يتبارى فيها الكتاب والشعراء من كل حذب وصوب، ويحرص كل شاعر على إحياء هذا اليوم من كل عام بقصيدة تهيم بحب الرسول الكريم ﷺ وأهل بيته الأطهار².

من هنا نخلص إلى القول أن يحذف اتفاق كل شعراء الذين ذكرناهم في مديح نسب الرسول منهم، الإمام علي بن أبي طالب، والكميث الملقب بشاعر الهاشميين، وابن الخياط، والبحتري، واختلافهم في طريقة وأسلوب مدحه ﷺ وآل بيته الأطهار، وسبب ذلك أن لكل شاعر معجمه الخاص به، يستقي منه الألفاظ والمعاني وصوره على حسب البيئة التي نشأ فيها، ويختلف عنهم البحتري في طريقته غير المباشرة في مديح خير البرية صلوات الله وسلامه عليه.

1 - ديوان البحتري، ص 145.

2 - بتصرف: زكي مبارك، المصالح النبوية، ص 56.

ثانياً: نسق آثار الرسول صلى الله عليه وسلم:

تقدّم في مدائح شعراء الخلفاء العباسيين ذكر آثار نبويّة كانت في حوزتهم وهي البردة والقضيب والمنبر السيف والسرير والخاتم والعمامة و قد أفردناهم بالذكر يحذف، حيث قال أبو الحزم المدني:

يا عين كم ذا تسفحين مدامعا شوقا لقرب المصطفى ودياره
إن كان صرف الدهر عاقك عنهما فتمتعي يا عين في آثاره

يريد الشاعر في هذه الأبيات أن يُطفئ حرّ الدموع التي يذرفها شوقا لقرب المصطفى ودياره، بصرف نظره وإطفاء جمرة لوعته والتمتع برؤية آثار الحبيب □ ، فهذا البحري مادحاً الخليفة المتوكل مهناً إياه بعيد الفطر لما سار الى دمشق ويذكر بعضاً من هذه الآثار النبويّة، قائلاً¹:

عليك ثياب المصطفى ووقاره وأنت به أولى إذا حصص الامر
عمامته وسيفه وردائه وسيماه والهدي المشاكل والنجر
ولما صعدت المنبر اهتزّ واكتسى ضياءً واشراقا كما سطع الفجر

إنّ القارئ لهذه الأبيات يدرك جيداً أنّ البحري من الشعراء الذين لا يتكلفون في قول شعرهم خاصة وإن حب الرسول ﷺ يجري على لسانه، مجرى الدم في عروقه، نراه يُكسب ممدوحه وقارا وهيبة، فيجمع له بين شرف انتسابه لرسول الله □ بقوله "النجرو معناه الأصل" وبين لبسه لبردة الرسول ﷺ وِعِمامته، وحمله القضيب وسيفه في يده، ثمّ يصف المنبر الذي يهتز ويشرق ضياءً من نور ثياب المصطفى الكريم.

¹ - ديوان البحري، ص 421.

1) البردة والقضيب:

كانتا زينة خلفاء الدولة العباسية في الأعياد الدينية والمناسبات وهذا ما جعلها محطة أنظار شعراء المديح في ظل التحولات السياسية التي شهدتها الدولة العباسية نظرا لطول مدة حكمها، أمّا صفة البردة فقد كانت شملة مخططة "وفي تاريخ السيوطي أخرج الإمام أحمد في الزهد عن عروة بن الزبير رضي الله عنه أن ثوب الرسول ﷺ.

كان يخرج فيه للوفد رداء حضرمي طوله أربعة أذرع وعرضه ذرعان وشبر"1، وقد ذكر المؤرخون أن بردة النبي صلى الله عليه وسلم التي أعطى لكعب بن زهير بن أبي سلمى في واقعه المشهورة قد اشتراها معاوية من أولاد كعب لأنه رفض أن يؤثر بثوب النبي صلى الله عليه وسلم أحدا في حياته، وذهب آخرون إلى القول أنه في غزوة تبوك، أعطى النبي أهل أيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أمانا لهم.

كانت التي اشتراها معاوية فُقدت عند زوال دولة بني أمية، اشراها العباس وهو السفاح رحمه الله، وكان الخليفة يلبسها ويأخذ القضيب المنسوب إليه في إحدى يديه، فيخرج إلى الجمع وعليه من السكينة والوقار ما يصدع به القلوب، وتبهر به الأبصار، ويلبسون السواد وذلك اقتداء بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم².

وخلاصة القول أنه: لا اختلاف في أن البردة المتداولة على أكتاف خلفاء الدولة العباسية سواء كانت بردة كعبية وهي التي اشتراها معاوية، أو بردة أيلة بقيت عند أهلها إلى أن اشتراها السفاح العباسي رحمه الله، تعود إلى الرسول الكريم وهذا ما جعلها محطة أنظار شعراء المديح ولما كانت البركة في جسد النبي وكل ما يخرج منه أو تطأه قدماه أو تلمسه يده، والأحاديث في ذلك كثيرة جعل السنة الشعراء تتسابق في التبرك بذكر الحبيب مطيبا أفواههم.

1 - أحمد تيمور باشا، الآثار النبوية، مؤسسة الهنداوي، المملكة المتحدة 2012م ص17.

2 - بتصرف: المرجع نفسه

ورد في ذكر ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان عن ميمون بن هارون.....فقال كنت مع جلساء المستعين، فقصده الشعراء فقال: لست أقبل إلا كما قيل مثل قول البحتري في المتوكل¹:

فلو أنّ مشتاقا تكّلف غيرما في وسعه لمشى إليك المنبر
فرجعت إلى داري وأنتيه وقلت له، قد قلت فيك أحسن مما قال البحتري في المتوكل، فقال
هاته فأنشدته:

لو أنّ برد المصطفى إذ لبسته يظن لظنّ البُرد أنك صاحبه
وقال وقد أعطيته ولبسته نعم هذه أعطافه ومناكبه²
والقارئ لهذه الأبيات يدرك مدى تكلف صاحبها في نظمها فالكلمات لا تجري على لسانه
كما تفعل مع البحتري دون عناء أو مشقة، لعل ذلك ما جعله أشعر شعراء عصره ومن
وجهة نظري أظن أن رقة قلب البحتري وحنينه إلى كل ما له صلة بالحبیب المصطفى □
هو الدعامة التي ارتكز عليها في نظم قصيدته التي احتوت هذا البيت مادحا فيها الخليفة
المتوكل، ومهنأه بعيد الفطر، مبتغياً في ذلك حب الله ورسوله □ قبل حب الخليفة
المتوكل، ويتمظهر ذلك في قوله "ذكروا بطلعتك النبي"، "المُصلى"، "لابساً نور الهدى"
وكأنه يصور لنا كيف أنّ المنبر يريد التقدم نحو المتوكل لما أنس فيه شيء من رسول الله
صلى الله عليه وسلم، ويقول في بيت آخر من نفس القصيدة:³

ووقفت في بُردِ النبيّ مُذَكِّراً بالله تنذرُ تارةً وتبشُرُ

¹ -ديوان البحتري، ص435.

² -نقلا عن أحمد تيمور باشا، الآثار النبوي، ص15.

³ - ديوان البحتري، ص435.

يتجلى نسق مديح الرسول ﷺ في وقوف المتوكل خاطباً في القوم، معتلياً منبر رسول الله □ ، ومرتدياً بردته، متشبهاً بخير من وطأت قدماه الأرض، فينذر الناس من العذاب الأليم ويبشرهم بجنّات النعيم، كما كان يفعل الحبيب صلوات الله وسلامه عليه وآله، ويقول من قصيدة أخرى¹:

وَعَايِكَ مِنْ سَيِّمَاتِ النَّبِيِّ — ي مَخَائِلُ شَاهِدَتْ بِرُشْدِكَ
تَبْدُو عَايِكَ إِذَا اشْتَمَلَتْ — تَ بِرُدِّهِ مِنْ فَوْقِ بُرْدِكَ

ويقول من أخرى:

وَعَدَوْتَ فِي بُرْدِ النَّبِيِّ وَهَدِيهِ. — تُرْجَى لِحُكْمِ صَادِقٍ وَتُؤَمَّلُ

يتجلى نسق مدح الرسول ﷺ في هذين النموذجين لصاحب سلاسل الذهب من خلال تحلّي ممدوحه بسمّات الرسول الكريم بمجرد ارتدائه لبردته فتحلّ عليه بركته وتشمله صفاته، حتى يخاله الناس ويتذكرون به خير المرسلين، حينئذ يذكرّون المصطفى مصلوناً عليه ومسلمون، وقد ورد في كتب السيرة النبويّة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان له قضيب من شوحط يسمى المشوق يقال أنه نفس القضيب الذي كان الخلفاء العباسيين يتداولونه²، وهو من تركة الرسول صلى الله عليه وسلم والتي هي صدقة لقوله: " لا نورث. ماتركنا فهو صدقة"³ رواه مسلم، وصار إلى جانب البردة الشريفة من شعائر الخلافة "كان الخليفة يلبسهما يوم العيد على كتفه، ويأخذ القضيب المنسوب إليه صلى الله عليه وسلم في إحدى يديه، فيخرج وعليه من السكينة والوقار ما يصدع القلوب ويبهر الأبصار"⁴ اهتمّ الخلفاء العباسيين بكل من البردة والقضيب اهتمامهم بالبيعة وانفردوا بها عن غيرهم.

1 - أبو عبادة البحتري، ديوان البحتري، ج2، ص535.

2 - ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ص43.

3 - صحيح مسلم، 1758 باب قول النبي لانورث ماتركنا فهو صدقة

4 - كتاب الآثار النبويّة، أحمد تيمور باشا، ص13.

(2) **السيف:** ورد ذكر سيف رسول الله كأثر نبوي تعزز به الدولة العباسية إلى جانب البردة والقضيب، يقول البحتري في إحدى قصائده المدحية¹:

هما ورثاك ذا الفقار، وصيرا إليك القضيب والرداء المحبرا
وأنت ابن من أسقى الحجيج على الظما وناشد في المحل السحاب فأمطرا.

المعروف أن السيف ذو الفقار والذي سمي نسبة إلى شكله الذي يشبه العمود الفقري للإنسان قد غنمه الرسول في غزوة بدر الكبرى (2هـ)، ورد في تاريخ الأمم والملوك للطبري "قال أبو جعفر" وفي غزوة بدر انتقل لرسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار وكان لمنبه بن الحجاج² ورد ذكره على لسان البحتري أثناء مدحه للمعزز بالله لما له من مكانة عالية في أنفس المسلمين وعند خلفاء الدولة العباسية، كيف لا وهو سيف رسول الله، يحملونه تيمنا وتبركا في فتوحاتهم الإسلامية، ويتجلى نسق مديح الرسول ﷺ في سؤاله الاستنكاري "فأيُّ سناءٍ لستَ أهلاً لفضله؟" وكأنه يقول: إن انتسابه للرسول الكريم ﷺ وكذا وراثته لسيفه العظيم توجب عليه أن يكون كالحبيب في قهر أعداء الدين ونصرة الإسلام والمسلمين، وإقامة دولة الحق، هذا وقد أنشد الإمام علي بن أبي طالب أبيات يعتز فيها بامتلاكه لهذا السيف، قائلا:³

سَيْفُ رَسولِ اللَّهِ فِي يَمِينِي وَفِي يَسَارِي قَاطِعُ الوَتِينِ.
فَكُلُّ مَنْ بَارَزَنِي يَجِينِي أَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ عَن قَرِينِي.
مُحَمَّدٍ وَعَن سَبِيلِ الدِّينِ. هَذَا قَلِيلٌ مِّنْ طُلُوبِ العَيْنِ

¹ -ديوان البحتري، ص395.

² -أبو جعفر الطبري، كتاب تاريخ الأمم والملوك، ص364.

³ - علي بن أبي طالب، الديوان، ص100.

المعروف في كتب السيرة النبوية أنّ المراد به ذو الفقار بكسر الفاء، وبفتح الفاء، وكان لا يكاد يفارقه... وهو الذي أرى فيه الرؤيا، ودخل يوم فتح مكة وعلى سيفه ذهب وفضة¹ وهو سيفاً كان للعاصي بن منبه السهمي الذي قتل كافراً يوم بدر أهداه إلى علي جاء في كتاب الآثار النبوية لأحمد تيمور باشا، غنمه النبي صلى الله عليه وسلم وكان يحبه فلا يفارقه في حرب من حروبه... وهبه لعلي عليه السلام، وظلّ يُتداول عند العلويين إلى أن كانت آخر أخباره عند هارون الرشيد(193هـ)².

(3) الخاتم:

لما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديبية، كتب إلى ملوك الأرض فكتب إلى ملك الروم، فقيل له: أنهم لا يقرؤون الكتاب إلا إذا كان مختوماً فاتخذ خاتماً من فضة ونُقش عليه ثلاثة أسطر، محمد سطر، ورسول سطر، الله سطر³ وورد في كتاب الآثار النبوية أنه كان يلبسه صلى الله عليه وسلم ويختم به كتبه إلى الملوك ونُقش عليه (محمد رسول الله)، كان من بعده عند الصديق، ثمّ عند الفاروق، فلما كانت خلافة ذي النورين عثمان رضي الله عنه سقط من يده في البئر أريس بالمدينة والتمسوه فلم يجده، فاغتم لذلك غمّاً شديداً، وأتخذ له خاتماً على مثاله نُقش عليه (محمد رسول الله) فكان يختم به، ثمّ اتخذ الخلفاء من بعده خواتيم لكل خاتم نقش يخصه إلى انقضاء الخلافة من بغداد⁴ ويذكر البحثري الخاتم كرمز من رموز الدولة الإسلامية إلى جانب الآثار الأخرى في قصيدته⁵:

يَتَوَلَّى النَّبِيَّ مَا تَتَوَلَّى هُوَ وَيَرْضَى مِنْ سِيرَةٍ مَا يَسِيرُ
حُزَّتْ مِيرَاتُهُ بِحَقِّ مُبِينٍ كُلُّ حَقِّ سِوَاهُ إِفْكٌ وَزُورُ

1 - ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ص 43.

2 - بتصرف، أحمد تيمور باشا، كتاب الآثار النبوية، ص 27.

3 - ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ص 39.

4 - أحمد تيمور باشا، الآثار النبوية، ص 26

5 - أبو عبادة البحثري، ديوان البحثري، ص 421.

فَلَاكُ السَّيْفِ وَالْعِمَامَةِ وَالْخَا تَمَّ وَالْبُرْدُ وَالْعَصَا وَالسَّرِيرُ

يقال أنه نظم هذه الأبيات في مدح المعتضد بالله، وقيل أنها نظمت في المتوكل والأمر عندنا سيان، فهو يفتخر بممدوحه لامتلاكه لآثار الرسول صلى الله عليه وسلم (السيف والعمامة والبردة والعصا يقصد بها القضيبي والسرير) وصحيح أن خاتم رسول الله ضاع في خلافة عثمان بن عفان وهذا متفق عليه، إلا أن الذي يسعى إليه الباحث هو حفاظ الخلفاء على الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، ويضعون الخاتم في أصبعهم تشبهاً به وهنا يكمن نسق مدح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. ويكفيه فخراً أن ينفرد بهذه الآثار النبوية دون غيره، لأن الذي نهدف للوصول إليه من خلال دراستنا لهذه الأبيات هو تبين نسق مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، واتخاذة قدوةً للمسلمين هو خير دليل على ذلك.

4) المنبر والسرير والعمامة:

أراد معاوية نقل المنبر الذي كان يخطب عليه إلى الشام، وكتب بذلك إلى مروان بن الحكم عامله بالمدينة، فلما اقتلعه كثر لغط الناس فخشي الفتنة وزاد فيه درجاً وأرجعه حتى يتوهم الناس ذلك، ولم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم سرير كالذي كان للملوك، يجلس عليه للحكم ويكون بعده للخلفاء، وإنما كان له سرير ينام عليه، قوائمه من ساج أصبح فيما بعد صدقة، يحملون عليه المسلمون أمواتهم تبركاً به، ويحتمل أنه هو الظاهر والله أعلم، أما العمامة وهي أحد أغطية الرأس الشهيرة عند العرب والمسلمين طوال قرون من تاريخهم، وهي لازمة من لوازم مروءة الرجل بها يبرز جماله، ويرتفع مقامه، تناولها الباحث في قصيدته التي مدح فيها المهدي بالله، قائلاً¹:

عَدَا الْمُهْتَدِي بِاللَّهِ وَالْغَيْثُ مُلْحَقٌ
بِأَخْلَاقِهِ أَوْ زَائِدٌ فِي عِدَادِهَا
إِمَامٌ إِذَا أَمْضَى الْأُمُورَ تَتَابَعَتْ
عَلَى سَنَنِ مِّنْ قَصْدِهَا وَسَادِهَا

¹ - بتصريف: أحمد تيمور باشا، الآثار النبوية، ص 25، 26.

مَتَى يَتَعَمَّمُ بِالسَّحَابِ ثَلَاثَ عَلَيَّ
 كَفِيَّ لَهَا يَحْتَارُ إِرْثَ إِسْوَادِهَا
 وروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم، كانت له عمامة تسمى السحاب: كساها علياً،
 وكان يلبسها، ويلبس تحتها القلنسوة، وكان يلبس القلنسوة بغير عمامة، ويلبس العمامة بغير
 قلنسوة، وكان إذا غتمَّ أرخى عمامته بين كتفيه، كما رواه مسلم في صحيحه عن عمر بن
 حريث قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى
 طرفيها بين كتفيه¹

ثالثاً: نسق الأخلاق الحميدة

الأخلاق الحميدة صفة من الصفات الحميدة التي درج الشعراء بها على مدح خير البرية
 محمد صلى الله عليه وسلم فهي تعني " والمعنى اننا إذا أطلقنا كلمة الأخلاق إنما نعني بها
 الحسن أو الجانب الحسن، وكذلك من الممكن أن نقول: الأخلاق الدميمة أو السيئة و من
 الواضح أن إضافة كلمة الأخلاق نصف بها الأخلاق ليجعلها حسب ذلك الوصف الحسن
 أو السيء و الإسلام يدعو إلى الأخلاق الكريمة، وينهى عن مدمومها² وفي التنزيل
 الحكيم قوله تعالى: " وإنك لعلی خلق عظیم " القلم 04

والأخلاق نسق مهيمن إلى جانب الأنساق الأخرى على المديح النبوي في شعر البحري
 ويتمظهر ذلك في نسق الهداية في مدح خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم في قول
 الشاعر:

تَلُو رَسُولِ اللَّهِ فِي هَدْيِهِ	وَابْنِ النُّجُومِ الزُّهْرِ مِنْ آلِهِ
مَنْ تَحَسَّنُ الدُّنْيَا بِإِحْسَانِهِ	وَيَجْمَلُ الدَّهْرُ بِإِجْمَالِهِ
وَيَحْفَظُ الْمُلْكَ بِإِشْرَافِهِ	عَلَى نَوَاحِيهِ وَإِطْلَالِهِ ³

¹ - ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ص44.

² خالد جمعة بن عثمان الخراز، كتب موسوعة الأخلاق، مكتب أهل الأثر موسوعة الأخلاق، ط1، ص23.

³ أبو عبادة البحري، ديوان البحري، ص237.

فالبحتري من خلال هذه الأبيات وهو يمدح المتوكل بالهداية والإشراف والاحسان هذا في المعنى الظاهر للأبيات لكن المتمعن في الأبيات يجد فيه مدح لخير البرية محمد صلى الله عليه وسلم في حين يوظف التشبيه بين المتوكل والرسول صلى الله عليه وسلم في الهدى والاحسان وهذا أهم ما يميز الانسان المسلم، بحيث يتجلى نسق الهدايا من خلال انعكاس الصور السلوكية الرائعة في تأثيرها في انتشار الدين وحث على الالتزام بالأخلاق الحسنة لهذا نجده في كل مرة وهو بغرض المديح يكرر ألفاظ مثل: الاحسان، الهدى، الإشراف، الزهد ...

كما يتجلى هذا النسق (الهداية) في شعر البحتري في مدح خير البرية في قوله:

وَفِيكَ بِحَمْدِ اللَّهِ مَا بَلَغَ الْغَنَى وَأَمَّنَ مَا أَخْشَى وَمَا أَتَخَوَّفُ¹
وَأَكْثَرَ مَا يُهْدِي خَفِيًّا مُسْتَرًّا كَثِيرُ التَّجَنِّيِ وَالتَّعْتَبِ مُسْرَفُ

فنسق الهداية تجلى في هذه الأبيات على وجب الشكر والثناء بالله عز وجل وأنه لا أحد يبلغ ذروة الغنى إلا من خاف الله عز وجل

فالشاعر من خلال هذه الأبيات وهو يمدح المتوكل استعان بصفات الرسول صلى الله عليه وسلم وكثرت مناجاة الله عز وجل في قيام الليلة والصلاة الا عند خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم الليل فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان يقوم الرسول صلى الله عليه وسلم الليل حتى تنفطر قدماه، فالشاعر وهو يسقط خير البرية على المتوكل من أجل رسم الصورة المثالية عنه.

كما يتجسد نسق الهداية في شعر البحتري بالإشارة إلى خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم قائل:

¹ أبو عبادة البحتري، ديوان البحتري، ديوان البحرني، ص140.

لِلْفَضْلِ أَخْلَاقٌ يَلْقَنَ بِفَضْلِهِ مَا كَانَ يَرَعْبُ مِثْلَهَا عَنْ مِثْلِهِ
جَمَعَ الْمَكَارِمَ كُلَّهَا بِخَلَائِقِ لَمْ تَجْتَمِعْ فِي سَيِّدٍ مِنْ قَبْلِهِ¹

في حين يتمثل النسق الخفي في هذه الأبيات بصدى المتوكل بصفات الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان النبي (ص) خاتم الأنبياء والرسول وقد دعا إلى مكارم الأخلاق وكان حريص رمز يقتدى به في الهداية وإرشاد الناس إلى الطريق الصحيح فقد كان حريص شد الحرص على هداية الناس وتبليغ الرسالة لقوله تعالى: " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " الأنبياء 107.

فالشاعر وهو يصرح للمتوكل في حقل أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك من أجل التقرب والتحسيس وتعميق الصلة وكذلك لدلالة على حرص المتوكل على الأخلاق الرفيعة والكريمة.

كما تجسد نسق الهداية في قول البحري

لَمْ تُجْهِدِ الْأَجْوَادَ غَايَةَ سُؤْدُدِ إِلَّا تَنَاوَلَهَا بِأَهْوَنِ رُسُلِهِ
يُنْبِيكَ عَنْ قُرْبِ النُّبُوَّةِ هَدْيُهُ وَالشَّيْءُ يُخْبِرُ بَعْضُهُ عَنْ كُلِّهِ²

فالشاعر عبر من خلال هذه الأبيات يشير إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم في صورة مخفية للمتوكل فهو يشد إلى خصلة من خصال الهداية ألا وهي التفضل على الآخر ويشير كذلك إلى قرب المتوكل من النبي لكنه في صفة الهداية واعيا في ذلك بالاحتهاد في الدعوة كما يستعين الشاعر بصفات الرسول صلى الله عليه وسلم - عن طريق التشبيه بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين المتوكل في قوله نبيك عن قرب النبوة هديه فهنا الشاعر فقط استغنى عن الأداة واستعان بوجه الشبه وهو الهداية فهو يشير إلى ما ورت

¹ أبو عبادة البحري، ديوان البحري، ديوان البحري، ص 238.

² المصدر نفسه، ص 238.

المتوكل من صفات الهداية من الرسول صلى الله عليه وسلم نعرض المديح، كما أن هذا النسق تمظهر في مدح خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم .

من خلال تكرار كلمة رسول ونبرة لدلالة على حصل الرسالة لهذا نجده استعان بها في المدح وكأنه استعان في قوله تعالى: "إنما أوتيت لأتمم مكارم الأخلاق" سورة الجمعة أية 4

كما سيد الباحثري إلى نسق الهداية في قوله:

بِئْهَا وَالْقُرْآنُ يَصَدِّعُ فِيهَا الـ هَضْبَ حَتَّى كَادَتْ تَكُونُ حِرَاءَ
وَأَقَمْتَ الصَّلَاةَ فِي مَعْشَرٍ لَا يَعْرِفُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا مُكَاءً¹

فالشاعر من خلال هذه الأبيات يشير إلى صورة من صور الهداية والتي تجسدت في شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنسق الهداية تمثل في هذه الأبيات بطريقة خفية وراء مجموعة من الألفاظ مثل حراء، جمهور لا يعرفون الصلاة، القرآن الكريم، إقامة الصلاة وهي صور من صور الهداية والتي دعا إليها الرسول (ص) وفيه أنزل عليه الوحي فنسق الهداية، يتمظهر في هذه الأبيات من خلال استعانة الشاعر بمجموعة من الألف وابرار أمكنة لها دلالة على دهاب الرسول (ص) إليها

كما يشير الشاعر إلى نسق الهداية في قوله:

عَارَضَتْكَ الْأَنْوَاءُ فِيهَا سَمَاحاً وَحَكَتَكَ السَّمَاءُ سَحّاً وَوَبَلا
ذَاكَ فَضْلٌ أَوْتَيْتَهُ كُنْتَ مِنْ بِي نِ الْبِرَايَا بِهِ أَحَقُّ وَأَوْلَى
وَعَطَاءٌ مِنَ الْإِلَهِ فَلَا زِلَ تَ مُهْتَأً ذَاكَ الْعَطَاءَ مُمَلَّى

فنسق الهداية يتجلى في هذه الأبيات ومن خلال أبراز الشاعر لصفة السماح والعفو والمتمعن في الأبيات ومن خلال إبراز الشاعر لصفة السماح والعفو والمتمعن في الأبيات

¹ ديوان الباحثري، حسن كامل الصوقي، دار المعارض، مصر (ج1)، ص17.

يتبادر إلى ذهنه أن في الأبيات إشارة إلى المديح النبوي لأن البشر ليسوا ينعصو ميت من الخطأ وابرار رداً فعل الغضب.

وغيره من الانفعالات خاصة الملوك والحكام في ردة فعلهم والتي عرفوا بها إلا أن الشاعر يشير إلى انفراد بهذه الصفة - السماح - والتي اشتهر بها الرسول (ص) فالشاعر مهد النسق - الهداية تجسد وظهر من خلال اسقاط صفات الرسول (ص) على الملوك والحكام بمعنى " فإن كان مدحا كان أبهى وأحكم وأكيل في النفوس وأعظم وأهز للعطف وأسرع للالف وأجلب للفرح وأغلب على الممتدح، و أوجب شفاعاً للمادح وأقصى له يعز المواهب المدائح، وأسير على الألسنة وأذكر وأولى بأن نغلقه القلوب واجدر"¹

حيث أن الشاعر استعان بصفات الرسول (ص) والتي تجسد فيها نسق الهداية مستعين في ذلك بعقد المماثلة بين الطرفين (المتوكل الرسول ص) بكثير من الطرافة والتشبيه وهذا من أجل رسم صورة صحية للمتوكل في أعين الناس والتقرب منهم

نستنتج أن نسق الهداية من الصفات التي اتصف بها سيد الخلق والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم والتي تجلت في شعر البحتري وهو يمدح المتوكل وباقي الحكام فقد برز هذا النسق الشعري في صور عديدة وبطرائق مختلفة لتجسيد أخلاق الممدوح وفي أبهى صورة.

رابعاً: نسق الجود والكرم:

- صفة الجود والكرم من الصفات التي عرف بها العرب عموماً والرسول صلى الله عليه وسلم خاصة لقوله تعالى: " وكرمنا بني آدم وحملناه في البر والبحر "

¹ عبد القادر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص93، الناشر، دار المدني بجدة، ط1.

فالجود والكرم من الصفات التي مدح بها البحترى الرسول صلى الله عليه وسلم بطريقة خفية من أجل مدح الخليفة المتوكل، والجود والكرم نسق مهيمن في المدح في شعر البحترى ويشكل ذلك في قوله:

خَلَّتْ قُرَيْشٌ لَهُ الْبَطْحَاءَ وَإِنْصَرَفَتْ لَهُ عَنِ السَّهْلِ حَتَّى حَازَهَا الْجَبَلُ¹
وَفَضَّلُوهُ وَلَا تَزَكُوا فَضَائِلَهُمْ إِلَّا بِتَفْضِيلِ أَقْوَامٍ بِهِمْ فَضَّلُوا
يَا مَنْ لَأَوَّلُ الْعَالِيَا وَآخِرُهَا وَمَنْ بِجُودِ يَدَيْهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ

فالشاعر من خلال هذه الأبيات يشير إشارة واضحة إلى مدح خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم من خلال تبيان أدية قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم، مظهرا في ذلك الصفات الحميدة التي اتصف بها تجاه قومه والتي لم تجتمع ولم تظهر إلا في رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه بمثابة المرجعية الثقافية التي اقتدي به في أسمى الأخلاق، فنسق الجود والكرم يتشكل في هذه الأبيات من خلال ألفاظ نلت عليه مثل الفضل، أول العاليا، به يضرب المثل وهي كلها ألفاظ نلت على الأخلاق والرفعة والجود والكرم الذي تمتع به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واتصف به مع قوم قريش كما تشكل هذا النسق في قول الشاعر:

فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ يَدٌ مَبْسُوطَةٌ مِنْ فَاضِلٍ مِنْهُمْ وَمِنْ مَفْضُولٍ²
لَا تَطْلُبَنَّ لَهُ الشَّبِيهَ فَإِنَّهُ قَمَرُ التَّامِّلِ مُرْنَةُ التَّامِيلِ

- فالشاعر وهو يمدح المتوكل يسقط عليه صفات الرسول صلى الله عليه وسلم والذي يعتبر ميثولوجيا ونظام اتبعه الشاعر باعتبار الرسول صلى الله عليه وسلم مثالا يقتدى به: " ترى أن الشاعر يذكر الدين والتقى وقوة الخطابة ... من كرم وندى مقرونة بحفاظهم على بيضة الدين وحوزة الإسلام، حيث تشكل هذا النسق في هذه الأبيات من خلال تعبير

1 - أبو عبادة البحترى، ديوان البحترى، ديوان البحترى، ص 266

2 - مصدر نفسه، ص 239

الشاعر بقوله: " في كل مكرمة يد مبسوطه " للدلالة على المد والعطاء الممدوح محمد صلى الله عليه وسلم.

كما تشكل هذا النسق في قوله:

يَبِيْتُ الْمَظَاهِي فَاتَرَ الطَّرْفِ دُونَهَا وَيَعْجِزُ عَنْهَا الْمُقْتَدَى الْمُتَعَلِّمُ¹
مَتَى تَلَقَّه تَلَقَّ الْمَكَارِمَ وَالنَّدَى وَبَعْضُهُمْ فِي الْفَرَطِ وَالْحَيْنِ يَكْرُمُ

فالمتعمن في هذه الأبيات يجد بأن نسق الجود والكرم تجلى من حيث تعبير الشاعر الخفي وكأنه يشر إلى الانفراد والوحدة بهذه الصفة - الجود والكرم - وهنا إشارة إلى مدح خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم على جميع البشر، فنسق الجود والكرم تمظهر في هذه الأبيات من خلال مجموعة من الألفاظ مثل : تلقاه يد المكارم، الندى، يكرم... فالكرم والجود عند الشاعر من الصفات التي ينفرد بها الشخص ويفتر بها الطرف كما قال شوقي ضيف : " غاية ما يصبوا إليه الشاعر هو هذا المثل الأعلى الذي لا يمكن أن يتحقق"² .

والجود والكرم صفة من الصفات التي ورثها العرب والمسلمين كافة من سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم لأن الجود والكرم والعطاء من الصفات التي انطوى بها خير البرية (محمد صلى الله عليه وسلم) على باق البشر لذلك استدعى الشاعر هذه الصفات للدلالة والإشارة على كرم الخلفاء والملوك، وقد أكد الشاعر على هذه الصفة في ممدوحه محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لكثرة تكرار الألفاظ الدالة على هذا النسق (البذل والعطاء والكرم، الندى، الفرط...) فالشاعر أشار إلى الرسول صلى الله عليه من خلال هذه الصفة والإشارة إلى أنه اتصف بها شخصا واحدا على جميع الخلق ليتمظهر ذلك في قوله :

مُتَدَفِّقٌ بِعَطَائِهِ كَالـ نَيْلٍ لَمَّا جَاشَ مَدُّهُ

1 - أبو عبادة البحتري، ديوان البحتري، ديوان البحتري، ص 136

2 - مسائل فلسفة الفتى المعاصر، ص 60

لا العذلُ يردُّه ولا الـ تعنيفُ عن كرمٍ يصُدُّه¹

فنسق الجود والكرم تجلى من خلال مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الأبيات بالاستعانة بلفظة العطاء والتدفق والنيل للدلالة على الكثرة والسخاء والجود والكرم والتي اتصف بها سيد الخلق والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم مع إرساء القيم الرفيعة والمثل العليا التي اتصف بها من جود وكرم على نحو مباشر وفي صورة ظهرت وتجلت في سيرته الشريفة حتى كان بذلك سيد الخلق معبرا عن هذه الصفة عند الشعراء في مدح الخلفاء والملوك كما قال شوقي ضيف : " وقد مضى الشعراء يصفون هذه المثالية " الجود والكرم " على الخلفاء والملوك في الحكم وفي التقوى أيضا وفي الخلق والشيم مهما كانت سيرتهم وكأنهم لم يكونوا يفكرون فيهم من حيث هم، إنما كانوا يفكرون فيهم من حيث خلافتهم وقيامهم على حكم الرعية وهم بذلك يرفعون أمام أعينهم ما ينبغي أن يكون عليه الخليفة في خلقه وفي دينه وفي سيرته وفي حكمه، وكأنما هو رمز للأمة في حاكمها الرشيد، وهم يبرزونه بالصورة التي تريدها ويريدونها"²

لذلك كانت صفة الجود والكرم في مدح خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم مبدأ في مدح الخلفاء والملوك لدى الشاعر من خلال رسم صورة الملوك والتكلم عنهم في تصوير الرسول صلى الله عليه وسلم وإعداد معنى يليق بهذه الصورة الخلقية، أضف إلى ذلك أن رغبة الشاعر في الحصول على العطاء كانت هي المكمل للتوجيه نحو المبالغة في المدح وإسقاط صفات الرسول صلى الله عليه وسلم على الملوك، وما دامت الدعية - العطاء - هي الباعث الأساسي على بناء وتشكل هذا النسق في المديح فمن البديهي أن تكون صفة الكرم إحدى الصفات التي يتحلى الممدوح وتتلى هذه الصفة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بالكرم الذي يتعدى أن يكون مقصور على بني البشر وإنما يتسع لأكبر من هذا

1 - أبو عبادة البحتري، ديوان البحتري، ديوان البحتري، ص 279

2 - نفس المصدر، السابق، ص 204

النطاق ليشمل الفضل والتفضل على جميع الخلق، فما كان من ذلك الممدوح المفرط في كرمه إلا أنه أصبح به يضرب المثل من كثرة عطاياه " لبعض شعر المديح أثره في تصوير المثل العليا وأثرها في نفوس متلقيها في هداية الناس إلى العمل بما يصل إلى تحقيقها، فإن للشعر أثره في هز النفوس وتحريكها"¹

نستنتج أن نسق الجود والكرم الذي يظهر كثيرا في شعر البحتري في صورة مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن مديحا متقصدا له شخصا وإنما كان في مدح الخلفاء والملوك والقواد، والمتمعن في أبيات الشاعر يلتمس نوعا من الرهبة والخوف والعطاء وهذا ما نتج عنه المبالغة في المدح تشبيهم بالرسول صلى الله عليه وسلم، كما أن الشاعر من زاوية أخرى صور لنا صفة من صفات المثل والأخلاق العليا، والمفارج الإنسانية، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان مثالا يقتدى به في العطاء والسخاء.

3- نسق الضياء والنور:

من يتبادر إلى ذهنه شخصية عظيمة مثل محمد صلى الله عليه وسلم والتعمق في صفاته الخلقية نجده بأنه سيد الخلق أجمعين. بحيث كان للشعر العربي الفضل في نقل هذه الصفات فنسق الضياء والنور من الأنسق التي طغت في الشعر العربي خاصة في مدح خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم " ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون " - سورة النحل الآية 06 -

وهذا ما تشكل في شعر البحري:

وَالأَرْضُ خَاشِعَةٌ تَمِيدُ بِثِقَلِهَا وَالجَوُّ مُعْتَكِرُ الجَوَانِبِ أَغْبَرُ
حَتَّى طَلَعَتْ بِضَوْءِ وَجْهِكَ فَاِنجَلَى ذَاكَ الدُّجَى وَإِنجَابَ ذَاكَ العِثْرُ²

1 - أسس النقد الأدبي، د أحمد بدوي، ص 214

2 - أبو عبادة البحتري، ديوان البحتري، ص 170.

ليكمل في قوله:

وَأَبْيَضَ مِنْ آلِ النَّبِيِّ، إِذَا احْتَبَى لِسَاعَةِ عَفْوٍ، فَالْتَفُوسُ مَوَاهِبُهُ
تَعَمَّدَ بِالصَّحْحِ الدُّنُوبَ وَأَسْجَحَتْ سَجَايَاهُ فِي أَعْدَائِهِ وَضَرَائِبُهُ¹

فنسق الضياء والنور من الصفات التي طغت في شعر البحتري وهو يمدح محمد صلى الله عليه وسلم متعمدا الخطاب غير مباشر في أبياته لأن القارئ يشعر أن البحتري يمدح الخليفة بصفات لم تكن في بشر إلا سيد الخلق والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وهذا ما يشير إلى عظمة خير البرية وشدة جماله، فالشاعر يصف الممدوح " محمد صلى الله عليه وسلم " ببراعة وشفافية في إسقاط صفاته الخلقية صلى اله عليه وسلم على المتوكل مثل ما عبر عليه علي بن أبي طالب في قوله:

أَغْرُ كَأَنَّ الْبَدْرَ سَنَّهُ وَجْهَهُ إِذَا مَا بَدَى لِلنَّاسِ فِي حُلِّ الْعَصَبِ²

فالرسول صلى الله عليه وسلم من أكرم الخلق والذي لم تتقل عنه إلا الصور الجميلة سواء الذاتية أو المعنوية والشمائل المرضية والحسن والجمال التي زينها الله بالخلق الكريم والسجايا الزكية، فكان عليه الصلاة والسلام على نهاية الكمال في صفاته الظاهرة، فنسق الضياء والنور تشكل في هذه الأبيات في مدح خير البرية من خلال مجموعة من الألفاظ التي دلت على الجمال الذي تمتع به سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم مثل : الجمال، البدر، الضوء، القمر، مشرق... "، فالشاعر كأنه بصدد التشبيه والربط بين الصفات الخلقية بين المتوكل وخير البرية محمد صلى الله عليه وسلم، فالشاعر وإن استعان بصفات الرسول صلى الله عليه وسلم في مدحه للخليفة فقد بالغ في مدحه للمتوكل، ولا سيما أن الغرض من هذا المديح هو حرصه على التقرب منه " إذ ينبغي أن يتخطى الشاعر في أوصافهم من جميع ذلك الحدود الاقتصاد إلى حدود الفرط وأن يترقى عن

1 - أبو عبادة البحتري، ديوان البحتري، ديوان البحتري، ص 728

2 - ابن هاشم، السيرة النبوية، ط1، ص 169

وصفهم بفعال ما يكون حق واجب إلى تقربهم بما يكون ذلك نافلة وفضلاً¹، فالشاعر وهو يمدح المتوكل تجاوزه إلى مدح خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم من أجل لفت الانتباه، كما تظهر نسق الضياء والنور في مدح خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم في شعر البحتري في قوله :

لَقَدْ عَاجَلْتَنِي نَظْرَتِي بِهَوَاكَ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ عَيْنِي تُرِيدُ سِوَاكَ
أَتَانِي رَسُولِي مُشْرِقاً نُورٌ وَجْهِهِ وَلَمْ يَكُ عِنْدِي قَبْلَ ذَلِكَ كَذَاكَ²

فالبحتري أراد أن يصور جمال الرسول صلى الله عليه وسلم في صورة المتوكل فهو يعتمد على التشخيص المادي والشكلي، بصورة قوية أثناء إبداعه الشعري، موظفا ألفاظا دلت على جمال سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، وإن كان الباعث وراء هذا المديح النبوي هو الرغبة والطمع في الأغلب، فالهدف هو أن يحوز على الرضا من السادة الممدوحين، وأن ينفذ بمديحه إلى قلوبهم ليحققوا له ما يريدون، ومن هنا كان يعتمد الشاعر الوصول إلى هذا الرضا فكان جمال الرسول صلى الله عليه وسلم السيل إلى ذلك كما قال : " الصفدي " في شرح لامية العجن " وما زال الشعراء يصيغون الممدوح بالحسن والصباحة والطلاقة والبدر وذلك مشهور لا يحتاج إلى من يبيده"³

- نسق الصبر:

الصبر صفة من الصفات التي انعرج الشعراء بها على مدح الخلفاء والملوك كما قال الله عز وجل " وبشر الصابرين " - البقرة -

1 - كتاب منهاج الأدباء، وسراج البلغاء، ص 170

2 - أبو عبادة البحتري، ديوان البحتري، ص 206

3 - نهج البلاغة لعلي بن أبي طالب ص 71

فنسق الصبر من الأنساق التي تظهت وتشكلت في شعر البحتري في مدح خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم والذي كان مثالا يقتدى به في الصبر على المصاعب وأذى الناس، وتمظهر ذلك في قول الشاعر¹:

دَمَ مُحَمَّدٌ الْمَحْمُودَ وَإِذَا نَشِبُو فِي مَصْمَةِ لَيْسَ فِي أَرْجَائِهِ خَلَلُ
لَوْ سُرْتُمْ فِي تَوَاجِيهِ الْأَرْضَ عَدَا لَكُمْ أَثَارُهُ الْبَاقِيَاتِ وَالسَّهْلِ وَالْجَبَلِ
مُشْبَعٌ مَعَهُ رَأْيٌ يَبْلِيغُهُ تِلْكَ الْأُمُورَ مَا رَمَاهَا رَجُلٌ

فالشاعر من خلال هذه الأبيات يشير إلى الأذى الذي تعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم المكانة والأخلاق التي تحظى بها إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم رد الإساءة بالإحسان والصمت و لم يعادي ولم يجرح رغم ما لحق به وكأنه اقتداء بقوله تعالى : " واصبر لحكم ربك " فالشاعر يمدح خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم بطريقة غير مباشرة لكن الهدف ليس من أجل الإشادة به ولكن من أجل رسم وجه السبه بينه وبين المتوكل حيث كان واجه المصاعب ومشاكل أهله علاوة على هذا نجد نسق الصبر يتمظهر عند الشاعر من خلال الألفاظ الدالة عليه مثل : المحمود في مصمة آثاره الباقيات ومشبع ... صنف إلى هذا أن نسق الصبر تمظهر عند الشاعر عن طريق استعانتة بالاستعارة والتشبيه من خلال الاستعانة بأدوات من الطبيعة مثل : الجبل، السهل وهي أشياء مادية استخدمها الشاعر للدلالة على معنى الصبر في شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوصيل الفكرة، كما تمظهر هذا النسق ف مدح خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم في قول البحتري :

صَبْرًا وَمَعْرِفَةً بِاللَّهِ صَادِقَةً وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ تَوْبٍ حِينَ يُبْتَدَلُ
عَزَيْتَ نَفْسَكَ عَنْهَا بِالنَّبِيِّ وَمَا فِي الْخُلْدِ بَعْدَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى أَمَلُ

¹ أبو عبادة البحتري، ديوان البحتري، ص260

وَكَيْفَ نَرْجُو خُلُوداً لَمْ يُخَصَّ بِهِ مِنْ قَبْلِنَا أَنْبِيَاءُ اللَّهِ وَالرُّسُلُ

فنسق الصبر يتمظهر في هذه الأبيات من خلال تعزية أحد أهل المعتر بالله فالشاعر يثني على مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الأبيات وأنه قدوتنا فالبر وإشارته إلى أنه أحق بالخلد في هذه الدنيا إلا أنه لم يخلد ولم يقل النبي أو الرسول واكتفى، بل قال النبي المصطفى فهذا شكل من أشكال المديح النبوي والذي لا يوصف به ولا يمدح به أي شخص كان، كما أن هذا النسق تمظهر من خلال الألفاظ التي استعان بها مثل: النبي المصطفى، أنبياء، الرسل، الصبر... فهي إشارات واضحة إلى خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم ودعوة صريحة إلى التحلي بالصبر وجعل النبي صلى الله عليه وسلم قدوة في ذلك، بمعنى أنه كان أحق بالخلد ولم يخلد لقوله تعالى: " كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام " - سورة الرحمان -

لذلك كانت صفة الصبر غريزة في خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم كما تمظهر هذا النسق في قول الشاعر¹:

وَعَصْنُ رَسُولِ اللَّهِ دَوْحَتُهُ الَّتِي لَهَا حُسْنُهُ لَوْ دَامَ فِي الْأَرْضِ دَائِمُهُ
وَمَا يَوْمُهُ يَوْمٌ وَلَكِنْ مَنِيَّةٌ تَوَافَى حَصِيدُ الدَّهْرِ فِيهَا وَقَائِمُهُ

تجلى نسق صبر الرسول صلى الله عليه وسلم في شعر البحتري، من خلال تبيينه لقيام الليل بين يدي المولى عز وجل، وأنه الحبيب الذي يتأمل الناس شفاعته يوم القيامة، فالتمسكون به مستمسكين بحبل غير منفصم، وأنه فاق النبيين في الخلق والخلق، ولم يُدانوه في علم ولا صبر، فالرسول صلى الله عليه وسلم رغم ما نزل عليه من مصائب وبلاء من قومه إلا أنه صبر، هيأ له المولى من أهل الطائف

¹ أبو عبادة البحتري، ديوان البحتري، ص 3671

من ينصره في رسالته، حتى أكمل رسالته، وهذا أجمل ما وُصِف به النبي صلى
الله عليه وسلم في شعر البحتري، من صبرٍ على طاعة وصبرٍ على إيذاء قومه.

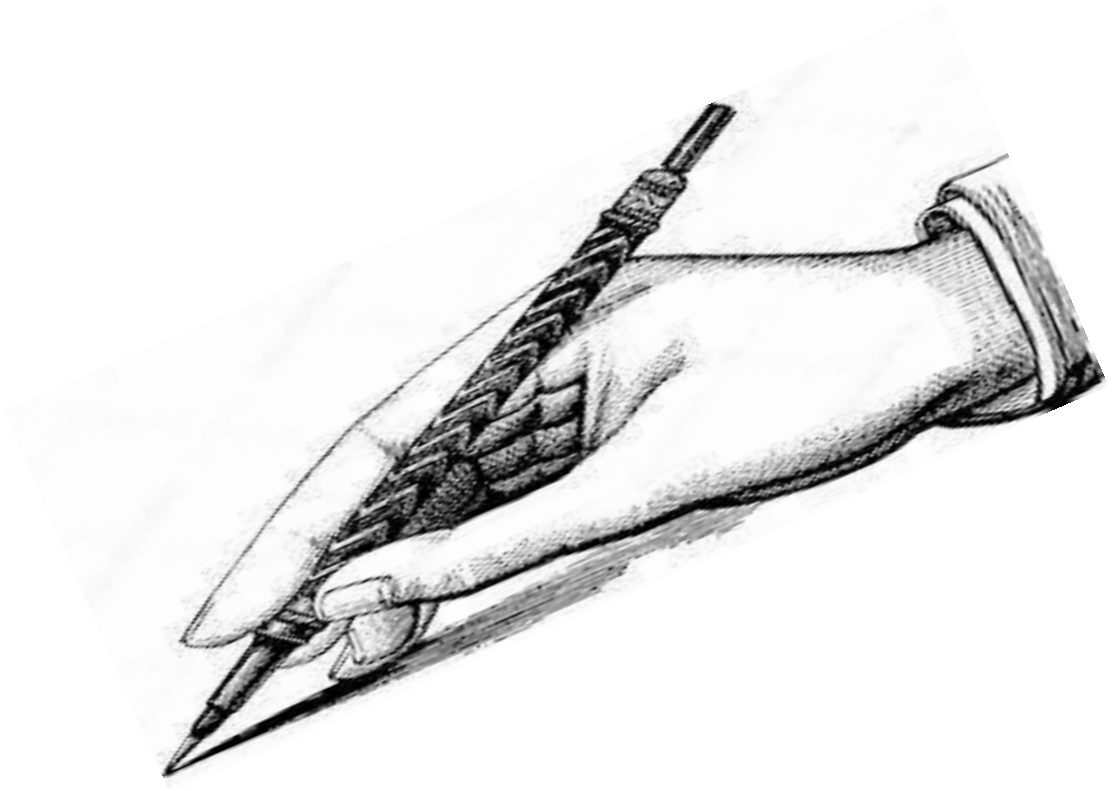


خاتمة

حاولت هذه الدراسة استقراء موضوع نسق المديح النبوي من خلال الموروث الشعري، فكانت غايتنا الأولى والأخيرة إبراز الخصوصية التي تجعل من هذا الموروث شاهداً على نضج المديح النبوي وتناوله لأغلب شعراء المدح بصفة عامة والبحثري بصفة خاصة، وقد انتهى هذا البحث إلى مجموعة من النتائج يمكن أجمالها كالاتي:

- تهيمن على شعر المدح عند البحثري أنساق عدة، أهمها نسق النسب والشجاعة والكرم.
- البحثري شاعر فحل لأنه إذا أراد أن يَسْتَأْنِفَ معنى آخر في نفس القصيدة أحسن التخلص إليه حتى يكون متعلقاً بالأول وغير منقطع عنه، كما يفعل دائماً لحظة توجهه إلى مدح الرسول من خلال مدحه لممدوحه.
- نظم الشعراء العرب في المديح النبوي لا يشبه بالمدح التَّكْسُّبِي أو التملق إلى الملوك والسلاطين لأنه خاص للنبي الكريم فهو يتسم بالصدق والمحبة والإخلاص في القول والفعل.
- تنتظم الجمل معاً لتعطي معنى والدارس للنسق يعني بالتغيرات التي تحدث على مستوى هذه الجمل حتى يبرز لنا المضمون عن طريق تحليله.
- أدرك مفهوم النسق في اللغة وكيفية النجاح إلى حد ما في رصد هذا المفهوم في الأعمال الأدبية، بالأخص النصوص الأدبية، والوقوف على الأنساق الدلالية ومظاهرها المختلفة في شعر المديح النبوي من خلال النفاذ إلى النظام الداخلي أو ما يُعرف بالبنية..
- ثقافة البحثري الدينية استقاها من الآيات القرآنية، والأحاديث والمناسبات الدينيّة، والقصص القرآني، أفادته في تبليغ رسائله وتمرير أنساقه تحت غطاء الدين كي يضفي مصداقيّة أكثر على شعره، ويحظى بمكانة في بلاط الخليفة.

- يكثر البحتري من الصور الفنية المستوحات من خياله في مختلف الجوانب التي يصور بها قصائده سواءً الأدبية أو السياسية في ثوب من الإيجاز والتلميح، بعيداً عن المبالغة ومحسناً اختيار الألفاظ.
- انتساب الخلفاء العباسيين للعباس بن عبد المطلب جعل البحتري يردد قوله: "يا ابن عمّ النبي" بكثرة في مدحه لهم، لأن نسبهم موصل بنسب المصطفى صلى الله عليه وسلم.
- يقصد البحتري بالبردة لباس التقوى والرشد، فكما هو معلوم أن الخلفاء اعتادوا على ارتدائها تيمناً بالرسول الكريم حين ألبسها كعب بن زهير، ثم أضحت من لوازم الخليفة رفقة القضيب النبوي لأنهما يرمزان إلى السلطة والمكانة.
- السيف ذو الفقار الذي ورد اسمه عند البحتري هو نفسه الذي تنقله الرسول الكريم يوم بدر، وهو الذي أرى فيه الرؤيا، حيث دخل يوم فتح مكة وعلى سيفه ذهب وفضة.
- التكرار عند علماء اللغة هو واحد من أهم عناصر التوكيد التي يلجأ إليها الشاعر ليثير الانفعال في نفس المتلقي، ويجمع بين طيَّاته دلالات نفسية، وهذا ما رأيناه عند تكرار اسم محمد في ديوان البحتري.
- يرى البحتري أن حب آل البيت دين ولافتداء بهم غاية، وبغضهم كفر، وهذه أسمى غايات الصديق في الحب، فهو يبدي مدحه ونصرته لهم في ظلّ تلك الظروف السياسية بعيداً عن الانتصار لأي مذهب من مذاهب التشيع، والتحزب لجهة معينة.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

2- الحديث النبوي، صحيح مسلم

* المعاجم:

1- ابن منظور أبو فضل جمال الدين، لسان العرب، مادة مدح، دار صادر، بيروت 1956م.

2- خليا براهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، دط، اسطنبول، تركيا، دت .

3- الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، جزء1، ترتيب وتحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار

المكتبة العلمية، طبعة1، بيروت2003م.

4- أحمد زكي بدوي، معجم المصطلحات العلوم الإجتماعية، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح،

دط، بيروت1982م

المصادر:

1- أبو عبادة البحتري، ديوان البحتري مجلد2، شرح وتقديم حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت.

2- أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن شمال بن جابر البحتري، ديوان البحتري، مجلد1،

شرح وتحقيق، دكتور يحيى شامي.

3- الأعشى الكبير، الديوان، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، دط،

لبنان 1989 م

4- الإمام علي بن أبي طالب، ديوان أمير المؤمنين، طبعة مصححة ومنقحة على الرواية

الصحيحة، جمع وترتيب، عبد العزيز الكرم، طبعة1، 1988م

5- حسان بن ثابت، الديوان، تحليل وليد عرفات، دار صادر، طبعة3، بيروت2012م.

قائمة المصادر والمراجع

- 3- زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، دط، بيروت 1935م.
 - 4- عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، طبعة 3، بيروت 2005م.
 - 5- كعب بن زهير، الديوان، تحليل علي فاغور، دار الكتب العلمية بيروت، دط، لبنان 1997م.
- المراجع:**

- 1- ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحليل عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، طبعة 5، القاهرة.
- 2- ابن زيد الأسدي، شرح هاشميات الكميث، تفسير أبي رياش أحمد بن ابراهيم القيسي، تحقيق الدكتور داود سلوم، الدكتور نوري حمودي القيسي، مكتبة النهضة العربية، طبعة 2، بيروت 1986م.
- 3- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ترجمة ابن سلام هارون، جزء 5، دار الفكر بيروت، لبنان 1979م.
- 4- ابو العباس أحمد القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، تحقيق ابراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، طبعة 2، بيروت 1980م.
- 5- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح عبد الرحيم محمود، مادة مدح، دار الفكر دمشق، سوريا 1989م.
- 6- أبي عبد الله محمد بن داود الصنهاجي الفاسي، متن الأجرومية في علم وأصول وفروع العربية، دار الصحابة للتراث، ترجمة ضحى عبد الكريم، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر.
- 7- أحمد تيمور باشا، الآثار النبوية، مؤسسة الهداوي، 2012م.

قائمة المصادر والمراجع

- 8- أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، جزء1، طبعة1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق1989م.
- 9- أديت كريزويل، عصر البنيوية، ترجمة جابر عصفور دار سعاد الصباح، طبعة1، الكويت1993م.
- 10- الإمام أبي حسين مسلم، صحيح مسلم، دار صادر بيروت، دط، لبنان، دس، باب فضائل حسان كتاب: 6416
- 11- الإمام محمد بن الحسين البرجاني، الكرم والجود وسخاء النفوس، دار ابن حزم، ط2، 1991م.
- 12- بابت منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر طبعة1، بيروت1990م.
- 13- جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، دط، تونس2004.
- 14- جميل الحمدوي، شعر المديح النبوي في الادب العربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، طبعة1، بيروت2007م.
- 15- الدكتور عبد الله بيرم، التداولية والشعر، قراءة في شعر المديح في العصر العباسي، مكتبة طريق العلم.
- 16- سراج الدين محمد، المديح في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت.
- 17- سمير خليل، النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، دار الجوهري، طبعة1، بغداد2012م.
- 18- السيد محمد علي البيلاوي، التعريف بالنبوي والقرآن الشريف، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة1927م، طبعة1.

- 19- شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المشهور بابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ضبط نصه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، طبعة 1، لبنان 2009م.
- 20- ضروب من الشجاعة، جون ف كنيدي، تر لجنة من الأساتذة الجامعيين، مؤسسة هنادوي سي أي سي.
- 21- ضياء الكعبي، السرد العربي القديم، الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، ط1، بيروت دت.
- 22- عبد الصمد العشاب، البويصري شاعر المديح النبوي، المطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي، الرباط، المغرب 1999م.
- 23- عبد الفتاح كليطو، المقامات (السرد والأنساق الثقافية)، ترجمة عبد الكبير الشرفاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، طبعة 2، المغرب 2001م
- 24- عز الدين مناصرة، علم التناص والتلاص، دار مجدلاوي طبعة 3، عمان 2006م.
- 25- علي أبو زيد، البديعيات في الأدب العربي، نشأتها، تطورها، أثرها، دار عالم الكتب بيروت، طبعة 1، لبنان 1983م.
- 26- فاطمة عمران، المدائح النبوية في الشعر الأتمجدلديسي، المجمع العالمي لأهل البيت، طبعة 1، 1428هـ.
- 27- محمد فتاح، التشابه والإختلاف نحو المنهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، الدار البيضاء، دط، دت.
- 28- محمود زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، جزء 1، دار المعارف، دط، مصر 1971م.
- 29- محمود سالم محمد، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر بيروت، طبعة 1، لبنان 1417هـ.

قائمة المصادر والمراجع

- 30- محمود علي مكي، المدائح النبوية، دار نوبال، القاهرة، مصر، طبعة 1، 1991م.
- 31- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسان النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، جدار الكتاب العالمي، طبعة 1، عمان، الأردن 2009.
- 32- ياسين الأيوبي، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، دار جروس، طبعة 1، طرابلس، لبنان 1995م.

الرسائل:

- 1- عقيل الطيب عبد الرحمان محمد، أثر الإسلام في شعر البحتري، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية (الأدب والنقد)، جامعة أم درمان الإسلامية، 2006م.



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات :

الصفحة	العنوان
	بسملة
	شكر وعرهان
	إهداء
أ	مقدمة
5	مدخل:
5	أولاً: ماهية النسق وأنواعه ومرجعياته
5	1- تعريف النسق
7	2- أنواع النسق
10	3- مرجعيات النسق
13	ثانياً: المديح النبوي، المفهوم والنشأة
13	3- تعريف المديح
15	4- نشأة المديح النبوي
27	الفصل الأول: أنساق المدح في ديوان البحري
27	أولاً : نسق نسب الممدوح
38	ثانياً: نسق تكرار إسم محمد
45	ثالثاً: نسق الشجاعة
51	رابعاً : نسق الجود والكرم
54	خامساً: نسق الضياء والنور
59	الفصل الثاني: نسق نسب الرسول صلى الله عليه وسلم
59	أولاً : نسق نسب الرسول وأل بيته
65	ثانياً: نسق آثار الرسول صلى الله عليه وسلم
72	ثالثاً: نسق الأخلاق الحميدة
77	رابعاً: نسق النور والضياء

87	خاتمة
90	قائمة المصادر والمراجع
96	فهرس الموضوعات
98	ملخص الدراسة
99	التعريف بالشاعر

ملخص الدراسة:

عالجت هذه الدراسة موضوع نسق المديح النبوي في ديوان البحتري، والتي عالجتنا فيها مجموعة من الأنساق من خلال مدخل، فصلين وخاتمة، حيث تناول الفصل الأول أنساق المدح في ديوان البحتري، استخرجنا فيه مجموعة من الأنساق هي: نسق نسب الممدوح، نسق تكرار اسم محمد، نسق الشجاعة، نسق الجود والكرم، نسق الضياء والنور، أمّا الفصل الثاني تناولنا فيه أنساق صفات الرسول صلى الله عليه وسلم والتي تمثلت في: نسق نسب الرسول ﷺ وآل بيته، نسق آثار الرسول صلى الله عليه وسلم ونسق الأخلاق الحميدة، نسق الضياء والنور.

وفي الأخير أنهينا بحثنا بخاتمة استخلصنا فيها مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها معتمدين فيها على الأسلوب التحليلي.

الكلمات المفتاحية : النسق، المديح النبوي،

Résumé:

This study dealt with the subject of the Prophetic praise pattern in Diwan al-Buhturi, in which we dealt with a set of patterns through an introduction, two chapters and a conclusion. Courage is the pattern of generosity and generosity is the pattern of brightness and light. As for the second chapter, we dealt with the patterns of the Prophet's attributes, may God's prayers and peace be upon him, which were represented in the pattern of the lineage of the Messenger of God and his family, the pattern of the effects of the Messenger, may God's prayers and peace be upon him, and the pattern of good morals, the pattern of light and light.

Finally, we ended our research with a conclusion in which

التعريف بالشاعر:

كان لابد لنا من الوقوف قليلا على الحياة العباسية في الفترة التي عاش فيها شاعرنا، وما فرضته تلك الحياة على الأدباء من نواحي، سياسية وعقلية واجتماعية، لأن الأدب وليد البيئة وكون الشعر جزء لا يتجزأ منها كانت الحياة السياسية في العصر العباسي الثاني أي في الفترة التي عاش فيها البحتري مليئا بالأحداث والتحويلات، فقد تحول فيها الحكم من أيدي الفرس، إلى أيدي الترك أما عن الحياة العقلية فقد ظلَّ العصر العباسي الثاني مزدهر بما نقل وما كان ينقل من الثقافات الأجنبية الذي ساعد بدوره على نهضة الأدب نثرا وشعرا

أما عن الحياة الاجتماعية في عصر الشاعر فقد توزع المجتمع العباسي الثاني إلى ثلاث طبقات أساسية وهي كالآتي:

- طبقة عليا تشتمل على الخلفاء والوزراء والولاة والقواد ومن يلحق بهم من الأمراء وكبار رجال الدولة ورؤوس التجار والإقطاعيين وهؤلاء يغرقون في النعيم والمتعة.
- طبقة وسطة تشتمل على رجال الجيش وموظفي الدواوين والتجار والصناع والعلماء وهؤلاء يأخذون رواتبهم من الدولة.
- طبقة دنيا وتشتمل على العامة من الزراع وأصحاب الحرف الصغيرة، والخدم وأهل الذمة، وهؤلاء هم الذين يقومون على تقديم الحياة لي الطبقة العليا والوسطى.

نسبه:

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الله بن يحيى بن عبيد ابن شمال بن جابر بن سلامة بن مسهر بن الحارث بن خشيم خشم، بن أبي حارثة بن جدي بن تدول يدول بن بحتري بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة وهو طيئ ابن أدد بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان الطائي البحتري الشاعر المعروف والمشهور، وكنيته أبو عبادة في منبج، وأبو الحسن في بغداد، وهو

طائي الأب شيباني الأم¹ وغلب عليه لقب البحترى نسبة إلى عشيرته الطائية، وقد أجمع الرواة على عروبته.

مولده:

هناك اختلاف في بعض الروايات التي أشارت إلى السنة التي ولد فيها البحترى، فالبعض يقول ولد سنة 204هـ، ويقول البعض الآخر أنه ولد سنة 205هـ، والذي أجمع عليه كثيرا من الرواة أن ميلاده سنة 206هـ.

وقد ولد بمنبج من أعمال حلب وعلى رأي بعض الرواة أنه ولد في قرية قريبة من منبج تسمى زردفنة والرأي الأول أصح، والدليل على ذلك أن البحترى نفسه ذكرها كثيرا في شعره.

موطنه ونشأته وأسفاره:

موطنه منبج وهي تقع إلى الشمال الشرقي لمدينة حلب على طريق الفرات حيث نشأ فيها نشأته الأولى، فتأصلت فيه ملكة الإعراب والفصاحة فحفظ القرآن كما حفظ الكثير من الأشعار، وأخذ اللغة والنحو والفقہ والتفسير والحديث وعلم الكلام من حلقات العلماء في المساجد، وامتد بالبحترى طموحه فتجاوز بلدته إلى حلب، أين تعرف على علوة بنت زريقة التي شغفته حبا، ثم إلى حمص، واتصل فيها بأبي تمام شيخ الصناعة الشعرية، وأخذ عنه طريقته في البديع والزحرفة ثم قصد العراق، واتصل ببلاط المتوكل ولازمه، وعند حدوث الفتنة التي أدت إلى مقتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان سنة 247هـ، كره البقاء فيها، فعاد إلى مسقط رأسه بعدها ذهب إلى الأراضي المقدسة وأدى فريضة الحج مرتين، ثم عاد ومدح المنتصر، ومن أصفاره خروجه إلى المدائن وهناك

1 - البحترى، الديوان، مجلد1، ص5.

نظم سينيته المشهورة، ثم عاد إلى سامراء بالعراق حت نهاية حكم المعتمد، بعدها رجع إلى سوريا واستقر في موطنه إلى أن أدركته الوفاة عن عمر يناهز الثمانين عامًا.

أخلاقه وصفاته:

كان لقصائد البحري التي يتناول فيها المدح موقفا فكريا بحيث أن الممدوح يتناول تاريخا مليئا بالانتصارات، وكان البحري من أهل الفضل والإنصاف، يعترف لأهل الفضل ولا يدعي ما ليس له، قال له البعض أنت أشعر من أبي تمام فرد قائلا: ماينفعني هذا القول ولا يضر أبا تمام، والله ماأكلت الخبز إلا به، وسئل مرة أيكما أشعر أنت أم أبو تمام؟ فأجاب: جيد أبي تمام خير من جيبيدي، ورديئي خير من رديئه.

وإن دَلَّ هذا الاعتراف عن شيءٍ إنما يدل على خلقه وإخلاصه للعلاقة الإنسانية التي تجمع بينهما، ويفسر الدكتور دشين أن ما يروى عن البحري من إتيانه بحركات غريبة أثناء إنشاده لشعره، إنما كان يحدث منه في قصائد المنادمة فقط.

ثقافته:

لم يتخصص البحري في أحد فروع اللغة ولكنه كان يلم بأكثرها وهذا طبيعي لأن البيئة العربية تمهد له ذلك مرتكزا في ثقافته على:

القران الكريم والحديث النبوي الشريف فهما بالنسبة له من أهم المصادر التي استقى منها ثقافته وهذا واضح في شعره كونه تربي على حفظ معالم الدين الإسلامي فانعكس ذلك على معانيه وأفكاره المقتبسة والمستوحات من القران الكريم والحديث الشريف وأهل البيت وهذا ما لاحظناه عند استنباطنا للمواضع التي تعرض فيها لمعالم الدين الإسلامي.

التاريخ والأدب:

إن ولع البحتري بتاريخ العرب وأنسابهم وكذا بالتاريخ الإسلامي وسَّع في مداركه، وجعله يتمتع بشخصية ثقافية، بالإضافة إلى إكبابه على دواوين الشعراء المحدثين جعلنا نقول أنه مُتقفاً بالثقافة الحديثة لعصره، وما يتصل بها من علوم الأوائل على عكس أدباء عصره الذين تشربوا بالثقافة الأجنبية أمثال أبي تمام والمعري.

شعره:

إضافةً إلى أنه انتهج خطى أبي تمام في الشعر من ناحية البديع والزخرفة، فكان شعره حسن الدباجة، صقيل اللفظ سلس الأسلوب، ولا عجب أن سمى بعضهم شعره بسلاسل الذهب، كان موجوداً في كل غرض سوى الهجاء، سئل أبو العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟ أبو تمام أم البحتري أم المتنبي؟ فأجاب: المتنبي وأبو تمام حكيمان والشاعر البحتري¹، وقال فيه أبو الفرج أنه حسن المذهب، مطبوع، كان مشايخنا رحمهم الله يختمون به الشعراء، وله تصرف حسن في ضروب الشعر، ولقد جمع أبو بكر الصولي شعر البحتري، ورتبه على حروف المعجم، ثم عني به علي بن حمزة الأصفهاني، وسمّاه عبث الوليد.

بقي أن نشير إلى أن عدّة قصائد ديوان البحتري ومقطعاته، تتأهز الألف موزعة على خمسة عشر ألف بيت، ويضع مئات من أبيات الشعر، وهذا ما لم يصل إليه إلا الأندر فالأندر من الشعراء، ما يدل على عبقرية البحتري، وألمعيته، وخياله الخصب، وتمكنه من اللغة².

1 - البحتري، الديوان، تحقيق وشرح وتعليق حسن كامل الصيرفي، ط3، مجلد1، دار المعارف، القاهرة، ص5.
2 - البحتري، الديوان، ص7.

أهم ممدوحيه:

مدح البحترى العديد من الأشخاص، خلفاء ووزراء وأمراء، وقادة وولاة، وكُتاب ورؤساء دواوين... أمّا الوزراء ممدوحوا البحترى فنذكر منهم كلا من الحسن بن مخلد، وزير المعتز بالله، والفتح بن خاقان، وعبيد الله بن يحيى بن خاقان، وزيد بن المتوكل على الله، وأبي صالح بنت يزيد، وزير المستعين بالله، وأبي الصقر اسماعيل بن بلبل، وزير المعتمد على الله، وحمولة أبي العباس وزير آل أبي دلف، وصاعد بن مخلد، وولده.

أمّا الخلفاء الذين مدحهم ونقصد خلفاء بني العباس، فهم المتوكل على الله، حكم(من سنة232هـ إلى سنة 247هـ)، فالمنتصر بالله، حكم(من سنة248هـ إلى سنة248هـ)، فالمستعين بالله(من سنة 248هـ إلى 252هـ)، فالمعتز بالله ابن المتوكل (حكم من سنة252هـ إلى 255هـ)، فالمهتدي بالله(من سنة 255هـ إلى 256هـ) فالمعتمد على الله (من سنة 256هـ إلى 276هـ)، فالمعتضد بالله، الذي استلم الحكم سنة 279هـ، وفي أيامه قضى البحترى منتقلاً إلى الرفيق الأعلى سنة284هـ/897م¹

¹ - البحترى، الديوان، مجلد1، شرح وتحقيق دكتور يحيى شامي، ص7